الحافظ البرسي والعناصر الصوفية في أفكاره الغالية

للدكتور كامل مصطفى الشيبي
استاذ الفلسفة الاسلامية المساعد بجامعة بغداد

١ – يمثل الحافظ رضي‌الدين رجب بن محمد بن رجب البرسي (حوالى ٧٤٣ – ما بعد ٨١٣/١٣٤٢–١٤١١)، الذي سنترجم له فيما بعد، ظاهرة طريفة في عالم التشيع هي السبب في كتابة هذا البحث. ذلك انه كان نموذجاً يرد على وقوع التشيع المتأخر تحت تأثير التصوف بعد ان كان العكس هو الطبيعي كما لعلنا نجحنا في بيانه في كتابنا «الصلة بين التصوف والتشيع». وقبل الخوض في هذا الموضوع، يحسن ان نشير الى ان العلة في استقاء التصوف، في تحديد شخصيته، من التشيع هي ميل اصحاب هاتين النزعتين الى الجانب الروحي المثالي في الاسلام، فكان الامام الشيعي نموذجاً للانسان الكامل وصارت شخصيته صورة نسجت على منوالها نسخة أخرى تنطبق على الشيخ او الولي. وقد تم ذلك للصوفية اولاً عن طريق الاخذ عن التشيع اخذ تواز لا تلاقي معه تمثل في الاقتباس المقنع والرواية المحوّرة وما يجري هذا المجرى.

لقد استمر التصوف متطفلاً على التشيع ولم يستطع الاستقلال الحقيقي عنه حتى في شخص ابن عربي نفسه الذي ضمن مصنفاته، وخصوصاً الفتوحات المكية وفصوص الحكم، أخباراً، وآراء بيّنا وجه اتصالها بالتشيع في كتابنا المذكور. واستمر الامر على هذه الصورة في من جاء بعد ابن عربي ايضا، وكان الاصل الذي قدّر استمرار هذه الصلة هو نشاط التشيع في إغناء كيانه الروحي بمظاهر وافكار جديدة وجد التصوف نفسه نزاعاً الى استعارتها من

---

(١) اصل هذا البحث ثلاث صفحات في رسالتنا التي نلنا بها درجتنا الجامعية من جامعة كمبردج. غير ان ريادة البرسي للكشفية والبابية ثم البهائية، في افكارهم الجديدة المتأخرة، حملتنا على التوسع في دراسته، فكانت الثمرة هذا البحث الذي الحقناه بالنص العربي من رسالتنا المذكورة التي ستصدر بعنوان: «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري».

التشيع على صورة من الصور • ومن ابرز الامثلة التي تعزز هذا الاستنتاج ان التصوف ، الذي قام في الاساس على الزهد والاتجاه الروحي والازراء بالقيم الاجتماعية العربية والعدول عنها الى أضدادها وتجنب الدخول في الصراع السياسي حتى حرم الخروج على الولاة بالسيف ولو كانوا ظلمة [٢] ، رجع عن هذا كله ابتداء من القرن السادس الهجري (الثاني عشر الميلادي) • وبينما كان الشيوخ يرفضون قبول المريدين العلويين في ربطهم ويأمرونهم بالتخلص من عقدة النسب قبل ممارستهم الرياضة الروحية [٣] ، وجدنا عالم التصوف يعج بالشيوخ منهم في نهاية القرن السادس ومطلع السابع حتى كان نسل علي يحتلون مركز الزعامة في التصوف في طول العالم الاسلامي وعرضه ، وكلنا يعرف السيد احمد الرفاعي (ت٥٧٠/١١٧٣) والسيد احمد البدوي (ت٦٣٨/١٢٤١) والسيد ابراهيم الدسوقي (ت٦٧٦/١٢٧٧) • ويبدو ان الزعامة العلوية تسلم بطبيعتها الى التشيع ، الذي كان يمثل المعارضة والثورة ، ولو كانت جذورها صوفية او فقهية او كلامية بعيدة عن هذا العالم • من هنا ظهر في تركستان السيد نعمة الله الولي ، العلوي الحلبي الاصل [٤] ، (٧٣١–٨٣٤/١٣٣٠–١٤٣١) على صورة صوفي طموح الى سلب ملك تيمور نفسه حتى ذكر ان هذا القائد الكبير نفاه من سمرقند بحجة انه « لا يجتمع ملكان في بلد واحد » [٥] • وظهر معاصراً له صوفي متفلسف اتخذ التأويل والحروف والاعداد مادة لاقامة عقيدته الشاذة ، وهو فضل الله الاسترابادي الحروفي (٧٤٠–٨٠٤/١٣٣٩–١٤٠١) الذي اعد العدة لثورة مسلحة معززة بالتأويل والجدل في محاولة للقضاء على ملك التيموريين ، لكن مصيره كان القتل قبل ان تتاح له هذه الفرصة • وكان

---

(٢) التعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذي (ت ٣٨٠/٩٩٠) ، مصر ١٣٥٢ ، ص٣٣ •

(٣) محفل الاوصياء ومجمع الاولياء للاردستاني (علي اكبر حسين) ، ورقة ٣٦٩ب • وقد ذكر الهروي (ت ٤٨١/١٠٨٨ ـ ٩) أن من بين الف وماتتي صوفي عرفهم لم يكن بينهم من العلويين الا اثنان فقط (انظر نفحات الانس لعبدالرحمن الجامي ت ٨٩٨/١٥٠١ ، طهران ١٣٣٦ ، ص٤٣٠ ، محفل الاوصياء ورقة ١٢٤١ •)

(٤) زندكاني شاه نعمة الله ولي كرماني ، تحقيق جين اوبان ، طهران ١٩٥٦ ، (رسالة واعظي) ص ٢٧٤ ، (رسالة صنع الله) ص ١٤٠ وانظر تاريخ الادب في ايران لبراون (بالانكليزية) ٣/٤٦٥ •

(٥) ايضا (رسالة صنع الله) ص ٤٥ •

منهم في هذه الاثناء وبعدها ابناء صفي الدين الاردبيلي (ت ٧٣٥/١٣٣٤) الذين كانت زعامتهم الروحية مقرونة بنسبهم العلوي ، ان صدقاً وان انتحالاً ، المبرر الاكبر لدخولهم عالم التشيع فيما بعد . ثم كان كثير من متصوفة العلويين الذين ثاروا بعد وفاة البرسي كمحمد بن عبدالله الملقب بنوربخش ، الصوفي العلوي الاحسائي الاصلي [٦] ، (٧٩٥-٨٧٩/١٣٩٣-١٤٦٤) ومحمد بن فلاح قائد المشعشعين ومؤسس دولتهم (ت ٨٦٦/١٤٦٢) وغيرهما ممن لا داعي للخوض في سيرهم هنا .

٢ - وفي مقابل هذا التسلسل من التوازي بين التصوف والتشيع الى الاتصال المباشر الذي تمثل عند فضل الله الحروفي خاصة ، فطن متكلمو الشيعة الى التوافق بين هذين المشربين فسمحوا للافكار الصوفية ان تتسلل الى نفوسهم وتفيض منهم على صورة إشارات بيانية شعرية ونثرية وفقرات في ابحاثهم . ويعتبر آل طاووس زعماء الشيعة الروحيون في الحلة وبغداد في القرن السادس والسابع وبخاصة رضي الدين علي (٥٩١-٦٤٤/١١٩٥-١٢٤٧) وكذا ميثم بن علي ابن ميثم البحراني (ت ٦٧٩/١٢٨٠ - ١) وحتى الحسن بن يوسف بن المطهر الحلي المعروف بالعلامة (٦٤٨-٧٢٦/١٢٥٠-١٣٢٦) ومحمد بن مكي المعروف بالشهيد الاول (ق ٧٨٦/١٣٨٤) نماذج تضرب على هذا الاتجاه [٧] . ولم يقف الامر عند هذا الحد وإنما تطور الى محاولة استغلال القدر المشترك الذي يجمع بين التصوف والتشيع حجة ومبرراً لتوحيد هاتين النزعتين لصالح الثانية ليكون ذلك اساساً للكفاح المشترك علماً ودعوة وعملاً في سبيل اقرار التشيع ونشره في طول العالم الاسلامي وعرضه . لقد تمثلت هذه المحاولة في جهد شخصي بذله بهاء الدين حيدر بن علي الآملي (ت بعد ٧٩٤/١٣٩١) على صورة كتاب سماه « جامع الاسرار ومنبع الانوار في إن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الامامية الاثنا عشرية » [٨] . وبعد ان وضع الآملي هذه اللبنة زالت

---

(٦) مجالس المؤمنين للسيد نور الله التستري طهران ١٢٩٩/١٨٨١-٢، ص ٣١٠.

(٧) هذه النقاط مجلوة في تفصيل شامل في كتابنا الوشيك الصدور «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجري» .

(٨) للكتاب مخطوط محفوظ في مكتبة دائرة الهند تحت رقم Arberry 1349

الحجب بين المشربين بزوال الحظر الرسمي الذي فرضه الشيعة على اتباع مذهبهم فيما يتصل بانضمامهم الى مدارس التصوف ، ووضع أمام الصوفية مبرر يزيل من اذهانهم شوائب الريب في الشيعة وعقيدتهم في وقت لم تكن الدولة تقف في وجه هذه الفرقة او تظن بها الظنون كالعهد بالخلافات الاسلامية السابقة . وكانت هذه المحاولة من حيدر الاملي سبباً في اندفاع الشيعة الى الاطلاع على التراث الصوفي هادفين من ذلك الى الافادة منه في إغناء عقيدتهم وتزيينها للناس حتى وجدت افكار وحدة الوجود والآراء الشاذة التي نادى بها فضل الله الحروفي مكاناً في كتب متكلمي الشيعة وفقهائهم وبخاصة البرسي الذي ندرسه في هذا البحث وكذلك احمد بن فهد الحلي (٧٥٦-٨٤١/١٣٥٥-١٤٣٨) الآتي بعده بقليل [٩] . على انه ينبغي ان نذكر بأن امثال هؤلاء المتكلمين من المغرقين في الاخذ بالافكار الصوفية كالآملي والبرسي لم يكونوا يعتبرون ممثلين للتيار الرسمي عند الشيعة وانما كان سعيهم شخصياً اجتهاديا يعكس املاً في الوحدة بين اتباع عقيدتهم والصوفية ، ولم تلبث الايام ان حققته لهم على يد الصفويين في مطلع القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) . ولهذا فإن الآملي لم يجد مكاناً يحتله في كتب الشيعة بين الفقهاء او المتكلمين من زملائه وكذلك كان الشأن مع البرسي الذي اعتبره معاصروه صاحب افكار غريبة شاذة فأهملوه وتجنبوا الاشارة اليه الى حد الشذوذ .

٣ ـ أ ـ لقد كان البرسي واسع الشهرة في ايامه ، كما ستكشف ترجمته بعد قليل ، لكن ذلك الاهمال الذي سيمه هذا الرجل ادى الى جهل الاجيال التالية لجيل البرسي كثيراً مما يتصل بتفصيلات سيرته ، فلم يصل الى علمنا من أمر مولده ولا شيوخه ولا اقرانه ولا تلامذته ولا وفاته شيء ذو بال . وكل ما نعرفه من ذلك انه كان من رجال القرنين الثامن والتاسع للهجرة (الرابع

---

(٩) درس كاتب هذا المقال ابن فهد الحلي في فصل براسه في الكتاب المذكور .

عشر والخامس عشر الميلاديين) وانه ولد في بُرْس [١٠] ، وكانت قرية قديمة قريبة من موقع مدينة الحلة [١١] ، تقع على سفح جبل ترابي شارع على الفرات يعرف باسمها ايضا [١٢] ، وتقوم بين الحلة والكوفة [١٣] ، وتشتهر بحلاوة مائها [١٤] .

وتذكر المصادر القليلة التي تعرض لترجمة البرسي ، وجل ما فيها منقول من كتاب رياض العلماء وحياض الفضلاء لعبدالله أفندي الجيراني الذي استغرق تأليفه من سنة١١٠٧/١٦٩٥ الى حدود سنة ١١٣٠/١٧١٧[١٥]، انه نشأ وترعرع

---

(١٠) رياض العلماء وحياض الفضلاء لعبدالله افندى الجيرانى ، مخطوط في مكتبة صاحب الذريعة (الشيخ محمد محسن الملقب باقا بزرك الطهرانى المولود سنة ١٢٩٣/١٨٧٦) منسوخ بقلم عبدالله الهشترودى سنة ١٣٤٧/١٩٢٨ ـ ٩ ، ص ٢٣٢ ، وقد ألفه المصنف ـ وكان تلميذا لمحمد باقر المجلسي (ت ١١١١/١٧٠٠ ـ بين سنتي ١١٠٧/١٦٩٥ و ١١٣٠/١٧١٧ كما روى ذلك اقا بزرك الطهرانى فى كتابه الكبير الذريعة الى تصانيف الشيعة ١١/٣٣١ . والجيرانى من اوائل من عرضوا لترجمة البرسى وعددوا مصنفاته ـ وكان يقتنى معظمها بالفعل ـ وان كان سبقه غيره الى نقل نصوص من شعره ونشره دون ترجمته كما يأتي . وانظر ايضا : اعيان الشيعة لمحسن الامين الحسيني ٣١/١٩٥ الذى ينقل عن رياض العلماء ايضا .

(١١) معجم البلدان لياقوت الحموى ١/١٢٦ ، مجمع البحرين لفخرالدين الطريحي ، طهران ١٢٧٢ ، ص٣٠٩ ، اعيان الشيعة ٣١/١٩٣ ، الكنى والالقاب لعباس القمي ، النجف ١٩٥٩ ، ٢/١٥٢ الخ .

(١٢) اعيان الشيعة ٣١/١٩٤ ، واخبرني صديقي الاستاذ ناجي محفوظ ان هذا الجبل هو مقصود الاغنية الريفية التي تقول : « صَبَحَ بِرِس غرقان من دمع العيون » كناية عن ضخامة الجبل وغزارة الدمع .

(١٣) هدية العارفين لاسماعيل باشا البغدادي ، اسطنبول ١٩٥١ ١/٣٦٥ ، وهو ينقل عن رياض العلماء ايضا . وراجع تاج العروس ٤/١٠٧ ، وقد ذكر الزبيدى قبل ذلك انها « أجمة معروفة بسواد العراق وهى الان قرية ». وعن تاريخ برس القديم انظر بحثاً للاستاذ كوركيس عواد في مجلة سومر ٥ : ١/٧٤ ، ٧٥ لسنة ١٩٤٩ وكتاب « مدن العراق القديمة » لدروثي مكاي وترجمة يوسف يعقوب مسكوني ، بغداد ١٩٦١ ، ص ٥٥ ـ ٧ .

(١٤) اعيان الشيعة ٣١/١٩٤ .

(١٥) راجع الهامش العاشر آنفا .

في الحلة [١٦] ، غير انه بخلاف هذه النقطة لا يمكن الجزم بشيء آخر يتصل بحياته . ففيما يتعلق ببرس ينهي الينا الزبيدي (ت ١٢٠٥/١٧٩٠-٩١) انها قرية قرب جيلان[١٧]، ويرى الشيخ عباس القمّي[١٨]، ومحمدعلي التبريزي[١٩] ان برس اسم لقرية قريبة من ترشيز في خراسان ، فكأنهم يوحون الينا باحتمال انتساب البرسي الى قرية في ايران لا العراق ثم نزوحه منها الى الحلة مركز التشيع في ذلك الوقت . ومما يسوغ الاخذ بهذا الرأي ظاهرة غريبة تبرز في شعر البرسي : فمع انه لم يؤثر عنه شعر فارسي [٢٠] ، اعتاد ان ينهي قصائده ، على العموم ، باثبات اسمه في ختامها على صورة من الصور وهو ما يعرف في الشعر الفارسي بالتخلص وذلك بأن يختار الشاعر لنفسه اسمه فنياً يوقع به قصائده . ولم يختر البرسي لنفسه مخلصاً ، على عكس ما يورده المجلسي ومن تبعه من أنه كان يتخلص بالحافظ [٢١] ، وانما كان يفعل ذلك باسمه مرة [٢٢]، وبالحافظ أخرى[٢٣]، وبالبرسي ثالثة [٢٤] ، وبالحافظ البرسي رابعة [٢٥] .

(١٦) انظر اعيان الشيعة ٣١/١٩٥ ، وقد نصّ الجيراني في رياض العلماء على ان الحافظ رجبا كان « البرسى مولدا والحلي محتدا » (ص ٢٣٠) وهو في الحق كلام البرسي نفسه اذ وصف شخصه بقوله : وفي المولد والمحتد برسيا وحليا (انظر شعراء الحلة لعلي الخاقاني ٢/٣٩٢ ، والغدير للامينى ٧/٤٩) وقد لقبه محسن الفيض (ت ١٠٩٠/١٦٧٩) بالبرسي الحلى معا (كلمات مكنونة من علوم أهل الحكمة ، طهران ١٣٨٣/١٩٦٣ ، ص ١٩٦) .

(١٧) تاج العروس ٤/١٠٧ .

(١٨) الكنى والالقاب ٢/١٥٢ .

(١٩) ريحانة الادب ، طهران ١٣٦٦/١٩٤٧ ، ص ٣٠ .

(٢٠) بل لقد اثر عنه شعر عامي طريف لعله يشير الى لهجة الحلة العامية في القرن الثامن والتاسع . وقد اضطرب محقق كتاب مشارق انوار اليقين فى اسرار أمير المؤمنين للبرسى ، بيروت ١٣٧٩/١٩٥٩ - ٦٠ ، ص ١٩٢ ، في تسجيلها فوضع الأعجاز مكان الصدور . ومن هذا الشعر قول البرسي :

من لا ترى الشمس عينو ولا يرى البدر مقلتو
ولا الصباح المشرق ، ايش ينفعو قنديل
فأنت في ذا اعتقادك تشرب على
هذا الظمأ ماء البحار السبعة و [لا] تبل غليل

(٢١) بحار الانوار ١/٦ ، روضات الجنات ص ٨٤ ، الغدير ٧/٣٨ .

(٢٢) مشارق الانوار ص١٤٥ .

(٢٣) ايضا ص ٢٧١ .

(٢٤) ايضا ص ٦٠ .

(٢٥) ايضا ص ١٤٥ ، ١٥٣ ، ٢٤٤ .

وذلك أمر يحمل في ثناياه طابع رجل متأثر بروح الشعر الفارسي إما عن أصل او اطلاع عميق او اقامة طويلة في ايران ، وكل تلك الاحتمالات تقدم مادة حرية بالدرس والتمحيص • ان ما حمل الباحث على هذا الاستنتاج الخبر الذي اورده الحاج عباس القمي من انه ، في بحثه عن قبر شارح للبرسي في اردستان قرب اصفهان ، وجد كتاباً من تصنيف صوفي معاصر للبرسي ـ لم يذكر اسمه ـ سجل فيه ان الاخير مدفون في مزار قتلكاه (ساحة القتل) بمشهد في خراسان (٢٦) ، وهو موضع ذكره الخوانساري في روضات الجنات باعتباره مدفن الطبرسي (ت ٥٤٨/١١٥٣) (٢٧) ايضا • غير أن هذه الفائدة مهددة بالنقض لان هذا الموضع سمي كذلك بعد موت البرسي بحوالي اربعة قرون « لما وقع فيه من القتل العام باشارة عبدالله خان أفغان في اواخر دولة الصفوية » (٢٨) • ومهما يكن الامر فقد أكد لنا العلامة الشيخ محمد محسن الملقب بأقابزرك الطهراني بنفسه وجود هذا الموضع بهذا الاسم هناك حتى الآن • وعلى فرض ان الشيخ عباس القمي يعني ان الموضع الذي دفن فيه البرسي يقع في المكان الذي سمي فيما بعد بقتلكاه نستطيع ان نفترض ان البرسي هاجر من الحلة الى هناك بعد ان ضاق بسخط المجتمع الشيعي عليه لما ظهر منه من غلو يتصل بشخص علي بن ابي طالب كما يأتي • والبرسي هو القائل : «فشهرت ذيل العزلة وأخّرت يدي من حب الوحدة وأنست بالحق ، وذاك احق » (٢٩) • وقال في ذلك شعراً منه :

لقد أظهرت يا حاظ سراً كان مخفياً
فطب نفساً وعش فرداً وكن طيراً سماوياً
غريباً يألف الخلو ة لا يقرب أنسياً (٣٠)
غدا في الناس بالخلو ة والوحدة منسيا

---

(٢٦) فوائد الرضوية ، طهران ١٣٢٧ـ ١٩٠٩ ، ص ١٨١ . وينص القمي على انه « در كتاب يكي از صوفية عصر خود درانجا نوشته كه شيخ رجب برسي در مزار قتلكاه مشهداست ، والله اعلم » وقد وهم محمد علي التبريزي حين ظن ان قبر البرسي هو الذي كان في اردستان (انظر ريحانة الادب ، ص ٣٠٠)

(٢٧) روضات الجنات ص ٥١٢ .

(٢٨) أيضا ص ٥١٢ ، ترجمة الفضل بن الحسن الطبرسي .

(٢٩) مشارق الانوار ص ٢٧٠ .

(٣٠) شعراء الحلة ٢٩٣/٢ ، الغدير ٦٦/٧ ـ ٦٧ .

ولم تنقذ العزلة البرسي من اللوام ، فقال ، لما ضاق صدره وطفح به الكيل :

اما والذي لدمي حللا وخص اهيل الولا بالبلا
لئن ذقت فيه كؤوس الحما م لما قال قلبي لساقيه : لا
فموتي حياتي وفي حبّه يلذ افتضاحي بين الملا [٣١]

وعزز ذلك كله بقوله : فقمت اهجر معتذرا الى من لامني ولحاني ..[٣٢]

فكأنّ البرسي هجر الحلة الى خراسان حيث كان للشيعة هناك دولة سلطانها علي بن مؤيد (ت ٧٩٥/١٣٩٢) حليف تيمور وصديق محمد بن مكي الشهيد الاول (ت ٧٨٦/١٣٨٤) ، [٣٣] ليعتزل في طوس ويعتكف في مشهد علي الرضا حتى مات .

وأمر آخر يقوى احتمال كون البرسي غير حلي في الاصل ، وربما غير شيعي منذ البداية على افتراض انه انتقل الى التشيع من فرقة أخرى ، هو أنه لقب بالحافظ وهو وصف يتصل بالخبرة في الحديث النبوي وحفظه بنص البرسي نفسه في قوله :

رجب المحدث عبد عبدكم والحافظ البرسي لم يزل [٣٤]

وقد وجد الشيعة هذا الوصف غريباً الى حد ان الجيراني ، وهو المصدر الذي ليس من الرجوع اليه بد ، قدم لمعنى الحافظ ثلاثة احتمالات تتمثل في حفظ القرآن عن ظهر قلب مع التجويد ، او ضبط الحديث مع حفظ مائة الف منه متناً واسناداً او التخلص الشعري كالحافظ الشيرازي ، ولكنه اختار الاحتمال الآخر باعتباره المشهور[٣٥] ووافق عليه الخوانساري [٣٦] .ولم تقنع

(٣١ ، ٣٢) مشارق الانوار ص ٢٧١ .

(٣٣) عجائب المقدور لابن عربشاه ص ٣٣ ـ ٣٤ ، الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية لزين الدين بن علي بن احمد الجبعى العاملى ، تحقيق الشيخ عبدالله السبيتي ، مطبعة دار الكتاب ، بيروت ١٣٧٨ ـ ١٣٧٩/١٩٥٩ ـ ١٩٦٠ ، ١٠/١ ، قصص العلماء للتنكابنى ص ٢٤٢ .

(٣٤) اعيان الشيعة ١٩٩/٣١ ، البابليات ١٢٠/١ ، الغدير ٤٠/٧ ، شعراء الحلة ٣٨٧/٢ رياض العلماء ص ٣٢١ .

(٣٦) روضات الجنات ص ٢٨٤ .

هذه الافتراضات السيد محسن الامين فاضطر الى تقديم احتمال رابع يناسب معنى « الحافظ » هو كثرة الحفظ [٣٧] ، وتابعه في توسع محمد علي اليعقوبي [٣٨] مع ان الكفعمي يلحق باسمه هذا اللقب [٣٩] دون تحفظ مما يوحي بأن الخبرة في الحديث هو المعنى المقصود [٤٠] . على ان الحر العاملي والجيراني قد وصفا البرسي بأنه كان « محدثا » [٤١] ، واطلاعه الواسع الذي يبدو من ثنايا كتابه مشارق الانوار يؤكد هذه الصفة فيه ويبدّد الاحتمالات السابقة التي قدمت لنفي هذه الصفة عنه وان كانت خبرته في هذا الموضوع انصبت على صورة شاذة سنراها في موضعها . والمهم في هذا كله انه لم يعرف في الشيعة احد يوصف بهذا الوصف في تاريخهم الطويل كله . وقد اضطر الجيراني ، في جلاء معنى الحافظ في ميدان الحديث، ان يذكر مراتب حملة الحديث الخمس عند اهل السنة [٤٢] وهذا هو مثار الشك وموضع الغرابة في حلية البرسي وبدايته الشيعية على الاطلاق ، ولولا ذلك ما انتحل الشيعة انفسهم الاحتمالات البعيدة لتبرير لقب الحافظ .

---

(٣٧) اعيان الشيعة ٣١/١٩٤ ، وانظر الكنى والالقاب ٢/١٥١ حيث ينقل الشيخ عباس القمي نص الاحتمالات الثلاثة دون ان يشير الى مصدرها .

(٣٨) البابليات ١/١٤٨ .

(٣٩) جنة الامان الواقية وجنة الابرار الباقية المعروف بالمصباح ، ايران ١٣٢١/١٩٠٣ ـ ٤ ص ١٧٦ ، ١٨٣ ، ٣١٦ .

(٤٠) يسميه في المواضع الثلاثة السابقة : الشيخ رجب بن محمد بن رجب الحافظ .

(٤١) أمل الآمل ، القسم الثاني ، ص ٤٤ ، رياض العلماء ص ٢٣٠ .

(٤٢) رياض العلماء ص ٢٣٠ ، والمراتب هي : الاول الطالب وهو من ابتدأ في تعلم الحديث ، الثاني الشيخ وهو الاستاذ المعلم للحديث ، الثالث : الحافظ وهو من كان تحت ضبطه مائة الف حديث متنا واسنادا ، الرابع : الحجة وهو من كان تحت ضبطه ٣٠٠ الف حديث متنا واسنادا الخامس : الحاكم ، وهو من احاط بجميع الاحاديث . وفي معنى الحافظ وكونه درجة بين «امير المؤمنين في الحديث» و «المحدث» انظر الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، للحافظ ابن كثير ، شرح احمد محمد شاكر ، الطبعة الثانية ، مطبعة محمد علي صبيح بمصر ، بلا تاريخ ، فائدة للشارح ص ١٧٣ ـ ٤ . ومن المعروف ان الذهبي الف كتابا سماه تذكرة الحفاظ .

وللوصول الى حل لمشكلة تاريخ وفاة البرسي ينبغي ان نشير اولاً الى انه صنف كتاباً له في وقت يقع « بين ولادة المهدى وتأليف هـذا الكتاب ٥١٨ سنة» [٤٣] سنة ٧٦٨/١٣٦٧ اذا اعتبرنا ولادة المهدي في رأي البرسي نفسه سنة ٢٥٠/٨٦٤ [٤٤] .

يضاف الى هذا ان الجيراني ذكر للبرسي كتاباً آخر ألفه سنة ٨١١/١٤٠٨ هو « مشارق الامان في لباب حقائق الايمان » وقد رآه بنفسه في مازندران وغيرها وعليه هذا التاريخ [٤٥] .لكن هذا التاريخ رجع القهقري عشر سنين بنقل محمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣/١٨٨٥ ـ ٦) [٤٦] ومعاصره الحاج معصوم على (ت ١٣٤٤/١٩٢٦) [٤٧] عن رياض العلماء غير ان محمد علي التبريزي تردد في هـذا التاريخ وتأرجح فيه بين سـنة ٨٠١/١٣٩٨ ـ ٩ و ٨١١/١٤٠٨ ـ ٩ [٤٨] ولعل مرد ذلك الى صعوبة قراءة هذا الرقم في المخطوط المذكور لان محسن الامين ينقل عن رياض العلماء ايضا ان البرسي ألف هذا الكتاب في سنة ٨١١/١٤٠٨ ـ ٩[٤٩] . ثم جاء الأميني فعقد المسألة بتعيين سنة

---

(٤٣) انظر أمل الامل ، الموضع الاسبق ، حيث نص الحر العاملي (ت ١١٠٣/١٦٩١ ـ ٢) وتحفظ عليه في ذلك الجيراني (رياض العلماء ص ٢٣١) على ان هذا الكتاب هو مشارق الانوار واورد شعرا متضمنا فيه فعلا في ختام الكتاب (ص ٢٧٠) . غير ان هذه العبارة السابقة غير متضمنة فيه ولابد ان التاريخ المذكور ورد في كتاب اخر غير المشارق . وقد احتاط الأميني لذلك فقال: « انه ارخ بعض تآليفه » بذلك التاريخ لا المشارق بالذات (الغدير ٦٧/٧) . وقد ظن المصنفون المحدثون التاريخ المذكور في حدود سنة ٧٧٣/١٣٧٢ باعتبار ولادة المهدي عند الشيعة عموما سنة ٢٥٥/٨٦٤ دون أن يلتفتوا الى راي انبرسي نفسه الذى اورده فى مشارق الانوار ص ١٢٢ .

(٤٤) مشارق الانوار ص ١٢٢ .

(٤٥) رياض العلماء ص ٢٣٠ وقد ذكر الجيرانى في هذا الموضع انه تملك منه نسخة .

(٤٦) روضات الجنات ص ٢٨٥ .

(٤٧) طرائق الحقائق ١١٤/٢ .

(٤٨) ريحانة الادب ص ٣٠٠ .

(٤٩) اعيان الشيعة ١٩٧/٣١ .

٨١٣/١٤١٠ ــ ١١ تاريخا لتأليف هــذا الكتاب [٥٠] وتابعــه في ذلك علي الخاقاني [٥١] . وبالرجوع الى نسخة اقابزرك من رياض العلماء وجدنا هذا التاريخ يصدق على سنة ٨١١ بما لا يدع مجالاً للاخذ والرد وذلك للوضوح التام الذي ظهرت به هذه العبارة . وبالنسبة للتاريخ ٨١٣/١٤١٠ ــ ١١ ، ذكر الجيراني في معرض حديثه عن مشارق انوار اليقين انه يظهر من بعض نسخة انه « الفه سنة ٨١٣ »[٥٢] . وبوصل هذه الحقائق بعضها ببعض يصبح في الامكان تعيين الفترة التي عاشها البرسي على وجه التقريب وذلك باعتبار تأليفه لاوائل كتبه سنة ٧٦٨/١٣٦٢ وهو في حوالي الخامسة والعشرين من عمره افتراضاً ، فكأنه ولد حوالي سنة ٧٤٣/١٣٤٢ ــ ٣ على وجه التقريب. ولما كان تصنيفه لاواخر كتبه قد وقع في سنة ٨١٣/١٤١٠ ــ ١١ فكأنه كان في هذا الوقت في حوالي السبعين من عمره ولعله مات بعد هذا التاريخ بقليل. على ان الدقة تقتضينا ان نشير الى ان اسماعيل باشا البغدادي [٥٣] ، الذي اخذ مادته عن البرسي من كتاب رياض العلماء ايضا ، ذكر ان البرسي كان حياً سنة ٨٠٢/١٣٩٩ .

ومما يتصل بهذ الامر ايضا ان الجيراني افاد بأن البرســي « كان من متأخري علماء الامامية لكنه مقدم على الكفعمي صاحب المصباح » [٥٤] فلم يعن هذا شيئا ذا بال لان الكفعمي ، وهو الشيخ تقي الدين ابراهيم بن علي بن الحسن العاملي ، الف مصباحه سنة ٨٩٥/١٤٩٠ [٥٥] أي ان قرنا من الزمان يحجز بين الرجلين ، فلا سبيل الى تحديد شيء يتصل بفترة حيــاة البرسي منه .

---

(٥٠) الغدير ٣٧/٧ ، والحق ان الجيراني اشار الى ان « تاريخ بعض مؤلفاته سنة ٨١٣ » لا هذا الكتاب الذى أرخ تاليفه فى شهور سنة ٨١١/١٤٠٨ (رياض العلماء ص ٢٣٠) .

(٥١) شعراء الحلة ٣٦٨/٢ .

(٥٢) رياض العلماء ص ٢٣٠ ، غير ان هذه التحديدات لا تستقيم تماما وليس المجال مجال تفصيل .

(٥٣) هدية العارفين ٣٦٥/١ ، اسطنبول ١٩٥١ ، ٣٦٥/١ .

(٥٤) رياض العلماء ص ٢٣٠ .

(٥٥) مصباح الكفعمى ص ٧٧١ .

٣ ب • ومما يعين على الاحاطة بظروف البرسي التعرف الى اساتذته وتلاميذه وزملائه والرواة الذين ينقل عنهم • وقد عرف فقهاء الشيعة بالحرص الشديد على تسجيل اسماء شيوخهم الذين يأخذون عنهم ، ورأينا لهم سلاسل طويلة متصلة تنتظمهم حتى تصل بهم الى شيوخهم الاوائل من ابن بابويه القمي فمن فوقه ــ والجزء الخاص من بحار الانوار ولؤلؤة البحرين نموذجان واضحا الدلالة على هذا المعنى • لكن البرسي لا يعرف باستاذ ولا يشير الى تلميذ ، وكل ما طاف حول اسمه من ذلك انه روى أخباراً تتصل بمولد النبي (ص) وفاطمة وعلي عن ابى الفضل شاذان بن جبرئيل القمي مما حدثه به محمد بن ابي مسلم بن ابي الفوارس الداري [٥٦] • وقد ظن محسن الامين هذه الاخبار جزء من مشارق الانوار غير ان العين واليد تحكمان بعكس ذلك وتفيدان ان روايات ابي الفضل القمي تتصل بكتاب مستقل لان ما في المشارق يتصل باسرار النبي والائمة لا مو الدهم فقط [٥٧] • على ان حظنا من العلم بابي الفضل القمي ومحمد الداري لا يتجاوز ترديد اسميهما ولا تعيننا كتب الرجال الشيعية على ذلك بشيء ، مما يوحي من جديد بأن البرسي لم يتصل برجال من الحلة [٥٨] وكتب الرجال تعرف اكثرهم ، وانما جاء اليها ناضجاً ليدعو الى فكرته التي لم تجد رواجاً ولا انصاراً • وكان شأن البرسي في ذلك ، كما يبدو ، شأن حيدر بن علي الآملي وفضل الله الحروفي ، وقد فعل ذلك ايضا نور الله بن فضل الله الحروفي لما فر الى العراق صحبة طائفة من انصاره نجاة من مطاردة التيموريين ، وسيفعل ذلك ايضا محمد نور بخش •

وقد شاركنا الجيراني الجهل بالدائرة المحيطة بالبرسي من رجال الكلام والحديث فقال في يأس ، وهو يحاول معرفة اساتذته ، « ولم اجد له الى الآن مشايخ معروفة من اصحابنا ولم اعلم عند من قرأ » [٥٩] ، وهكذا تنسد الابواب

(٥٦) رياض العلماء ص ٢٣٢ ، والدارى مثبتة في اعيان الشيعة (٣١/ ١٩٨) بلفظ القاري ، والجيراني نفسه ينص على ان البرسي « له كتاب آخر في فضائل على ، وليس هو بمشارق الانوار على الظاهر ، فلاحظ » مما يؤكد ما نرمى اليه •

(٥٧) الحق ان كبار باحثي الشيعة يتشككون فى نسبة البرسي الى برس القريبة من الحلة ومنهم من نسبه الى بروسا من بلاد الروم ، وقد دفع الجيرانى هذا الوهم بحجج قدمها ولكن ذلك لا ينفى الشك العالق بهذه النسبة •

(٥٩) رياض العلماء ص ٢٣٠ •

ولا تزيد معرفتنا بالبرسي من أي سبيل نطرقه اليه . ومن الطريف ان نذكر هنا ان الشيخ أقابزرك الطهراني علمنا ، نقلا عن المجلسي ، ان فقيهاً كتب في بعض كتب الدعاء ما لفظه : « يقـول كاتبه الفقير الى الله ابو طالب بن رجب ... » وسمي جـده بتقي الدين الحسن بن داود . وعلق اقابزرك على ذلك بقـوله : « لعله ابن الشيخ رجب بن محمد بن رجب البرسي الحلي ... ان جـده تقي الدين الحسن بن علي بن داود الحلي صاحب الرجـال والتصانيف الكثـيرة المعاصر للعلامة الحلي ، فلاحظ » [٦٠] .

٣ ـ جـ ـ يأتي بعد هـذا دور الكتب التي صنفها البرسي وتقترن بهـا مصادفة لا تخلو من طرافة : ذلك ان من كان قريب العهد بالبرسي من المصنفين نقلوا عن كتبـه نصوصـاً ضمنوها مصنفاتهم ، لكنهم لم يتطرقوا منهـا الى شخصه . ومن تلاهم عرضـوا لترجمتـه ولم يتناولوا من نصوص كتبـه الا ماوجدوه في مقتبسات سابقيهم . ومن هنـا جـاء التعارض في الاخبار الدائرة حول شخصه وسادت الفوض نسبة النصوص القصيرة الى مصادرها لجهـل المتأخرين بانتاج البرسي ، ثم جئنا نحن فوجدنا هذه التركة .

لقـد كان الكفعمي اول من نقل عن البرسي نصوصاً كاملة من كتبـه في مصنفه الكبير المعروف بالمصباح غير انه لم يشر الى أسماء الكتب التي نقل عنها فيما عدا إشارة واحدة الى مشارق الانوار [٦١] . وكذلك نقل عن البرسي محسن الفيض (ت ١٠٩١/١٦٨٠) في كتابه «كلمات مكنونة من علوم اهل الحكمة» الذي قيل فيه : انه ألفه في مطلع شبابه لما كان ميالاً الى التصوف [٦٢] . ونقل عن البرسي ايضـاً محمد باقر المجلسي في كتابه بحار الانوار ، الذي فرغ من تأليفه سنة (١٠٧٧/١٦٦٦ـ٧) [٦٣] ، والسيد نعمة الله الجزائري في الانوار

---

(٦٠) الضياء اللامع فى عباقرة القرن التاسع ، مخطوط بدأ به الاستاذ المذكور سنة ١٣٤٥ ، ص ٩ .

(٦١) انظر النص الذى نقله عن مشارق الانوار فى المصباح ص٣١٦ ، ونصين آخرين يتصلان باسماء الله الحسنى ص ١٧٦ ، ١٨٣ .

(٦٢) كلمات مكنونة ، ص ١٩٦ ، حيث ينقل خبرا عن مشارق الانوار .

(٦٣) انظر بحار الانوار ، ايران ١٣٠٢ ، ٢٠٢/٨ حيث ينقل عن المشارق نصا وينقل في هذا الجزء خبرا من كتاب الالفين للبرسى ايضا (انظر المقدمة) . وكان محمد باقر المجلسي أول من نفر من البرسي (انظر بحار الانوار ٦/١) وكان ذا سطوة شديدة ويد مطلقة في دولة الصفويين .

النعمانية الذي ألفه سنة (١٠٩٨/١٦٨٧) [٦٤] . غير ان من جاء بعد هؤلاء لم يحاولوا الاطلاع على كتب البرسي وانما قصوا في معلوماتهم اثر محمد باقر المجلسي في التنفير منه او اثر الحر العاملي الذي تابع المجلسي في ذلك [٦٥] . ولما عرض الجيراني لترجمة البرسي ومصنفاته لم يستطع تحري الصواب مع انه كان يحتفظ بأكثر مصنفات الاخير كما ذكر ذلك بنفسه [٦٦] ، ومن هنا وجدنا ما اورده عنه متناقضا وغير مضبوط ، كما سنزيد ذلك ايضاحاً بعد قليل ، ويبدو انه كان يكتب على السماع لا الاطلاع [٦٧] . وكان من الطبيعي ان يتأثر الآتون من بعده خطاه وهكذا وجدنا اخبار الكتب الحديثة عن البرسي وكتبه صوراً مكررة تتطابق فيها حتى الاخطـاء التاريخية والنقول ونسبتها الى مصادرها من الكتب والرسائل [٦٨] .

---

(٦٤) الانوار النعمانية ، طهران ١٢٨٠/١٨٦٣ ـ ٤ ، ٨١/١ .

(٦٥) أمل الامل ، القسم الثانى ، ص ٤٤ .

(٦٦) رياض العلماء ص ٢٣٠ ـ ٢٣٢ .

(٦٧) انظر روضات الجنات ص ٢٨٤ ، اعيان الشيعة ١٩٥/٣١ الخ . وترد كتب اخرى تتناول البرسى بالترجمة ويبدو انها تتعقب خطا الجيرانى الذى بدأ تأليف كتابه من سنة ١١٠٧/١٦٩٥ وانتهى منه فى حدود سنة ١١٣٠/ ١٧١٧ (الذريعة ٣٣١/١١) منها تتميم أمل الامل لابن ابى شبانة المعاصر للشيخ يوسف البحراني (ت ١١٨٦/١٧٧٢ ـ ٣) ورياض الجنة لحسن بن عبد الرسول الحسيني الزنوري (توفى بعد سنة ١٢٠٥/١٧٩٠) والبارقة الحيدرية في نقض ما أبرمته الكشفية لحيدر بن ابراهيم بن محمد الحسنى (محرر فى سنة ١٢٥٦/١٨٤٠) . والكتابان الاولان محفوظان في خزائن كتب شخصية لم يتح لنا ولا لغيرنا الاطلاع عليها ، والثالث محفوظ في مكتبة جامعة كمبردج تحت رقم Browne. Y. 12 (9) ، وقد استفدنا منه في هذا المجال .

(٦٨) الكتب الحديثة التي تعرض للبرسي هي : ١ ـ روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري (ت ١٣١٣/١٨٩٥ ، ايران ١٣٠٧/١٨٨٩ ـ ١٠ ، ص ٢٨٤ ـ ٢ ، ٥ ـ تنقيح المقال للمامقاني الحسن بن عبدالله النجفي : ت١٣٢٢/ ١٩٠٥ ـ ٦) ، ايران ١٣٤٩/١٩٣٠ ـ ٣١ ، ص ٣٢٩ ، ٣ ـ طرائق الحقائق للحاج معصوم علي النعمة اللهى الشيرازي (ت ١٣٤٤/١٩٢٦ ، ايران١٣١٩/ ١٩٠١ ـ ٢ ، ٢٠/٢ ، ٩١٤ ، ٤ ـ هدية العارفين لأسماعيل باشا لبغدادي (ت ١٣٣١/ ١٩١٣) استنبول ١٩٥١ ، ٣٦٥/١ ، ٥ ـ فوائد الرضوية في احوال علماء المذهب الجعفرية ، لمحمد علي القمي ، ايران ١٣٢٧/١٩٠٩ ، ص ٧٩ ـ هدية الاحباب لعباس محمد رضا القمي النجف ١٣٤٩/١٩٣٠ ـ ٣١ ، ص١٢٢ ٧ ـ الكنى

ومهما يكن الامر فقد أثبت الجيراني قائمة بمصنفات البرسي ونقلها عنه الآخرون وهي :ـ

١ ـ مشارق الانوار (مشارق انوار اليقين في اسرار امير المؤمنين) طبع في الهند سنة (١٣٠٣/١٨٨٥ـ٦) وسنة (١٣١٨/١٩٠٠ـ١) [٦٩] ، وفي بيروت سنة (١٣٧٩/١٩٥٩ـ٦٠) .

٢ ـ مشارق الامان ولباب حقائق الايمان .

٣ ـ رسالة في ذكر الصلوات على الرسول والائمة من منشآت نفسه .

٤ ـ زيارة لامير المؤمنين ، طويلة .

٥ ـ لمعة كاشف (فيها من اسرار الاسماء والصفات والحروف والآيات وما يناسبها من الدعوات وما يقارنها من الكلمات رتبها على ترتيب الساعات وتعاقب الاوقات في الليالي والايام لاختلاف الامور والاحكام) ويبدو ان النصوص التي نقلها الكفعمي في المصباح من هذه الرسالة (انظر المصباح ص١٧٦ ، ١٨٣ ، ٣٦٣ـ٤) والظاهر انه انشأ هذه الرسالة مجاراة لكتاب الامان لابن طاورس .

٦ ـ الدر الثمين في ذكر (٥٠٠) آية نزلت من كلام رب العالمين في فضائل مولانا امير المؤمنين ... ويرى الجيراني انه على الحقيقة تفسير (٥٠٠) آية في فضل أهل البيت .

٧ ـ لوامع انوار التمجيد وجوامع اسرار التوحيد (مقدمة لمشارق الانوار بنص المؤلف وهي ضمن مشارق الانوار) .

والالقاب ، النجف ١٩٥٦ ، ٢/١٥١ ـ ٢ ، له ايضا ٨ ـ سفينة البحار : فهرست كتاب بحار الانوار ، النجف ١٣٥٢/١٩٣٣ ـ ٤ ، له ايضا ٩ ـ ريحانة الادب لمحمد علي التبريزي الخياباني المعروف بمدرس ، طهران ١٣٦٦/١٩٤٧ ، ص ٣٠٠ ، ١٠ ـ اعيان الشيعة لمحسن الامين الحسيني العاملي ، النجف ١٩٤٩ ، ٣١/١٩٣ ، ١١ ـ البابليات لمحمد علي اليعقوبي ، النجف ١٩٥١ ، ص ١١٨ وما بعدها ، ١٢ ـ الغدير للاميني (عبدالحسين احمد) ، طهران ١٣٧٢/١٩٥٢ـ ٣ ، ٧/٣٣ ـ ٦٨ ، ١٣ ـ شعراء الحلة لعلي الخاقاني النجف ١٩٥٢ ، ٢/٣٦٨ ـ ٣٩٤ ، ١٤ ـ الذريعة الى تصانيف الشيعة لمحمد محسن الملقب بآقا بزرك الطهراني طهران ١٩٥٩ ، في مواضع متفرقة .

(٦٩) جزء الميم من كتاب الذريعة ، مخطوط لدى المؤلف ، ص: ٢٩٨ .

٨ ــ رسالة في تفسير سورة الاخلاص .

٩ ــ رسالة في كيفية التوحيد والصلاة على الرسول والائمة عليهم السلام ، مختصرة .

١٠ــ كتاب في مولد النبي وفاطمة وامير المؤمنين وفضائلهم عليهم السلام ، مختصرة .

١١ــ كتاب آخر في فضائل علي (ع) [٧٠] .

١٢ــ كتاب الالفين [٧١] ، في وصف سادة الكونين [٧٢] ، الذي اضافه محمد باقر المجلسي الى هذه القائمة ونقل منه نصوصاً في بحار الانوار وذكر اقابزرك الطهراني انه « توجد منه نسخة بخط الحاج علي بن محمد النجف آبادي في المكتبة الحسينية » [٧٣] .

١٣ــ وبالنسبة لمشارق الانوار ذكر الحر العاملي ان البرسي ارخ تأليفه في وقت يعادل مرور (٥١٨) سنة من ولادة المهدي [٧٤] ، وتلك اشارة تفتقدها في هذا الكتاب غير اننا نجد فيه ابياتاً ذكر الحر العاملي نفسه انها متضمنة في المشارق ومنها :

فرضي ونفلي وحديثي انتم وكل كلي منكم وعنكم

الى آخر القطعة [٧٥] .

أما مشارق الامان فيذكر فيه الشيخ أقابزرك قوله : « رأيته عند المولوي حسن يوسف الاخباري (وهو خال كاتب هذه السطور) بكربلا ، اوله : « الحمد لله المتفرد بالازل والابد والصلاة على اول العدد وخاتم الاجل الواحد الصادر عن حضرة الاحد » واورد في آخره قول الشافعي : ان كان رفضاً حب

---

(٧٠) رياض العلماء ص ٢٣٠ ــ ٢٣٢ وترد القائمة ايضا في روضات الجنات ص ٢٨٤ واعيان الشيعة ١٩٧/٣١ .

(٧١) بحار الانوار ٦/١ .

(٧٢) ريحانة الادب ص ٣٠٠ ، اعيان الشيعة ١٩٨/٣١ .

(٧٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة،النجف ١٣٥٦/١٩٣٧ ــ ٨ ، ٢٩٩/٢ .

(٧٤) أمل الآمل ، القسم الثاني ، ص ٤٤ ، ونقل الجيراني العبارة دون تعقيب (رياض العلماء ص ٢٣١) .

(٧٥) انظر مشارق الانوار ص ٢٧٠ .

آل محمد » الخ . سنة (١٣٤٢/١٩٢٣ـ٤) [٧٦] . وقد توفى الله الشيخ حسن يوسف وفرق الزمان كتبه ولا يُدرى الى من وقع هذا الكتاب . وقد ذكر حيدر الحسني ان البرسي قال في رسالة السلوك في سورة التوحيد، ويبدو انها المعنية بالثامنة من رسائل البرسي في ثبتنا المذكور آنفاً : « المراد منها في باطن الباطن محمد ، وانما جعلها في باطن الباطن محمداً لانها في الباطن علي » [٧٧] .

ويذكر العاملي ان للبرسي رسائل في التوحيد فلعله يشير بذلك الى التاسع من ثبت مصنفات البرسي المذكور هنا . ويناقش الجيراني ، وينقل عنه محسن الامين ذلك ، كتاب البرسي: الدر الثمين فيذكر ان هذا العنوان لايقترن بمصنف للبرسي وانما هو شرح له اصله انه « قد انتخب الشيخ تقي الدين عبدالله الحلي كتاب المشارق المذكور وضم اليه (بعض) الفوائد وتفسير (٥٠٠) آية في فضل اهل البيت (ع) وسماه الدر الثمين في اسرار الانزع البطين ... » [٧٨] . واضاف السيد محسن الامين الى وصف الرسالة التاسعة انها مختصرة جداً [٧٩] . وذكر الجيراني ان للبرسي كتاباً «في مولد النبي وفاطمة وامير المؤمنين وفضائلهم عليهم السلام مختصرة » [٨٠] . واضاف انه « لعله من جملة مشارق الانوار » [٨١] ، واوضح ذلك بأن أوّله : «حدثنا الفقيه الفاضل ابو الفضل شاذان بن جبرئيل بن اسماعيل القمي، حدثنا محمد بن ابي مسلم بن ابي الفوارس الداري ... » [٨٢] . والحق ان ذلك تدليس اذ ليس في المشارق نص له علاقة بهذه الفقرة اصلاً وانما هو كتاب مستقل وهو العاشر من الثبت المار تسجيله .

ويذكر الجيراني ايضاً ، في تعليقه على كتاب البرسي في فضائل علي عليه السلام انه « ليس هو بمشارق الانوار على الظاهر » [٨٣] ، ويشفع ذلك بأن اوله « الحمد لله المتفرد بالازل والابد والصلاة على اول العدد وخاتم الابد وآله الذين لا يقاس بهم احد ، وبعد فيقول الواثق بالفرد الصمد رجب الحافظ البرسي اعاذه الله من الحسد...» [٨٤] ، وذلك بنصه ما افتتح به البرسي

(٧٦) حرف الميم من كتاب الذريعة ، مخطوط ، ص ١٩٤ .
(٧٧) البارقة الحيدرية ورقة ٥٣ ب .
(٧٨) رياض العلماء ص ٢٣١ ، اعيان الشيعة ١٩٧/٣١ ـ ٨ .
(٧٩) اعيان الشيعة ١٩٧/٣١ ـ ٨ .
(٨٠) رياض العلماء ص ٢٣١ .
(٨١ ـ ٨٤) رياض العلماء ص ٢٣١ ، وانظر اعيان الشيعة ١٩٨/٣١ .

كتاب مشارق الانوار [٨٥] . وهكذا يبدو مدى الاضطراب الذي اصاب معرفة عالم كالجيراني وتابعه في ذلك كله السيد محسن الامين ، وغيرهما اعذر .

ومما يكمل استعراض انتاج البرسي التطرق الى الشروح التي كتبت على مصنفاته ، واولها شرح مشارق الانوار الذي صنفه الحسن الخطيب القاري المقيم بالمشهد الرضوي في حوالي ثلاثين الف بيت ، [٨٦] (سطر) ، باصطلاح المصنفين من الفقهاء المتأخرين « وقد كان كتبه بامر السلطان شاه سليمان الصفوي الموسوي [٨٧] (ح ١٠٨٠ ـ ١١٠٦/١٦٦٩ ـ ١٦٩٤) وهو في مجلدين بالفارسية[٨٨] وقد أسقط الشارح من اوائله شرح اسرار الاعداد والحروف[٨٩] . وقد وصف هذا الشارح « بالقصور عن القيام بحق ذلك على الظاهر » [٩٠]

وقد ذكرنا فيما مضى الدر الثمين الذي لفقه تقي الدين الحلبي او الحلي[٩٢] من كتب البرسي مع اضافات وفوائد . وافادنا الجيراني ان المولى محمد تقي بن حيدر علي الزنجاني تلميذ المولى خليل القزويني ينقل عن كتاب الدر الثمين في كتابه طريق النجاة [٩٣] .

٣ د . وينبغي الا ننسى شعر البرسي ، فقد جمع له الاستاذ الاميني ٥٤٠ بيتاً اكثرها وارد في مشارق الانوار وكثير منها ، مما ورد في كتاب الغدير وشعراء الحلة ، مجموع على صورة ملحق يتلو مشارق الانوار من جمع محقق الكتاب الذي لا نعرف من هو ، غير انه انفرد بالاشارة الى ان « للبرسي

---

(٨٥) مشارق الانوار ص ١٤ .

(٨٦) روضات الجنات ص ٢٨٦ ، طرائق الحقائق ١١٤/٢ ، فوائد الرضوية ص ١٧٩ ، اعيان الشيعة ١٩٦/٣١ .

(٨٧و٨٨) رياض العلماء ص ٢٣١ .

(٨٩) روضات الجنات ص٢٨٦ ، وبقية المراجع في الهامش الاسبق .

(٩٠) اعيان الشيعة ١٩٧/٣١ ، روضات الجنات الخ .

(٩١) رياض العلماء ص ٢٣١ والاحتمال الثاني من عباس القمي : فوائد الرضوية ص ١٧٩ .

(٩٢) روضات الجنات ص ٢٨٦ .

(٩٣) رياض العلماء ص ٢٣١ .

ديواناً كان متداولاً في عصره حتى زمن قريب ...» [٩٤] . ومهما يكن الامر فقد كان شعر البرسي مثار اعجاب المتأخرين من الشيعة وسنعود اليه بعد الفراغ من آرائه الكلامية ، غير انه يحسن ان نذكر له ، ونحن نجمع انتاجه، ان فخر الدين احمد بن محمد الاحسائي المعروف بابن السبعي نزيل الهند والمتوفى بها سنة ٩٦٠ ونيّف / بعد ١٥٥٣ [٩٥] (يرى الأميني أنه كان معاصراً لابن فهد الحلي المتوفى سنة ١٤٣٧/٨٤١) [٩٦] قد خمس للبرسي رائية يمدح بها علي بن أبي طالب نقلها الأميني في الغدير (٤٢/٧) ومنها :

ادركت مرتبة ما الوهم يدركها وخضت من غمرات الحرب مهلكها

مولاي ، يا مالك الدنيا وتاركها، انت السفينة من صدقاً تمسكها

نجا ومن حاد منها خاض في الشرر [٩٧]

وخمس الشيخ احمد بن الحسن النحوي وابنه الشيخ هادي (ت ١٨١٩/١٢٣٥ ـ ٢٠) قصيدتين ذكرهما الأميني ايضا في الغدير (٤٥/٧ ـ ٤٦، ٤٧) .

من الاولى :

مناجيب ظل الله في الارض ظلهم وهم معدن للعلم والفضل كلهم

وفضلهم احيا البرايا وبذلهم فلا فضل إلاّ حين يذكر فضلهم

ولا علم الا علمهم حين يرفع

ومن الاخيرة :

بنو احمد قد فاز من يرتضيهم ائمة حق للنجا يرتضيهم

وطوبى لمن في هديه يقتضيهم هم القوم انوار النبوة فيهم

تلوح ، وآثار الزعامة تلمع

---

(٩٤) مشارق الانوار ص ٢٧٣ .

(٩٥) الكنى والالقاب ٢/ ٢٨٠ .

(٩٦) الغدير ٤٢/٧ .

(٩٧) وانظر ايضا الكنى والالقاب ٢/ ٢٨٠ .

٤ هـ . اما بعد فعلينا ان نعرض لآراء البرسي في محاولة لاستعراضها اولاً والنفوذ الى جوهرها ثانيا وتحديد ما فيها من عناصر صوفية أخيراً . وقبل ان نفعل ذلك يحسن ان نعرض في ايجاز لوجه من ثقافته الغربية يمكن ان يؤدي الى الجوانب الاخرى التي حفلت بها مصنفات البرسي . لقد كان هذا المتكلم ميالاً الى المعرفة السرية يجهد في الاحاطة بالغوامض من الاسرار . وكمثل على هذا المعنى نذكر انه لما ضمن الكفعمي كتاب المصباح فصلاً يدور حول اسماء الله الحسنى وما فيها من اسرار لم يجد افضل من انتاج البرسي مثلاً يضرب عليها ومن هنا نقل عنه في اسرار « الله » ، وهو أول الاسماء الحسنى ، ان « ذكره ضحى وعصراً وفي الثلث الاخير من الليل ستاً وستين مرة بغير ياء يوصل الى المطلوب»[٩٨] وان من خواص «الملك» «دوام الملك لمن واظب عليه كل يوم اربعاً وستين مرة » [٩٩] وان ذكر القدوس « في الجمع مائة وسبعين مرة يطهر الباطن من الرذائل » [١٠٠] وان في السلام « شفاء المرض والسلامة عن الآفات» [١٠١] وان ذكر المهيمن « مائة وخمساً وعشرين مرة يورث صفاء الباطن والاطلاع على اسرار الحقائق » [١٠٢] . يضاف الى ذلك ان ذكر العزيز اربعا وتسعين مرة « عقب الفجر في كل يوم يكشف اسرارا علوم الكيمياء والسيمياء...»[١٠٣] وان من اكثر ذكر القهار «اخرج الله متاع حب الدنيا من قلبه »[١٠٤] وان من قرأ عالم الغيب بعد الصلاة مائة مرة « حصل له الكشف عن المغيبات » [١٠٥] . وهكذا من كتب « الشهيد الحق» على اربع زوايا ورقة « ويكتب ما ضاع او غاب وسط الورقة ويبرز نصف الليل الى تحت السماء وينظر اليها ويكرر هذين الاسمين سبعين مرة ياتيه خبر الضائع او الغائب » [١٠٦] وان من جعل الوكيل ورده « امن من الغرق والحرق » [١٠٧] وكل هذه النماذج تذكرنا بالبوني في شمس المعارف الكبرى الذي يحفل بمثل هذه النماذج من المعرفة والاوصاف . ومن هذا النموذج على تحري البرسي للاسرار مما يعتبر شاذاً في رأي من لا يشاركه ميله وهوايته ، وان كانت صلته بالتصوف المتأخر الذي اخذ يهتم بهذه الموضوعات ظاهرة لا شك فيها ، ندخل عالم البرسي الخاص الذي ملأه علي بن ابي طالب حتى طغت صورته على كل صورة .

(٩٨ ـ ١٠٧) مصباح الكفعمي ص ٣٦٣ ـ ٣٦٤ .

على انه يبدو ان البرسي كان يدعو الى افكاره الخاصة بعلي وافضليته وسموه مشافهة حتى ادى به ذلك الى الشهرة بما احفظ الحليين عليه . ويبدو انه جهد في ابراز عواطفه نحو الإمام بشكل مبالغ فيه حتى أحسّ النفور منه الشيعة انفسهم ، وكانوا حينئذ مالكين لزمام عواطفهم منصرفين الى الاستزادة من العلوم الشرعية والكلامية المختلفة على يد تلاميذ ابن المطهر الحلي ، ومن هنا وجدنا البرسي يقول :

وطويل أنف ان رآ ني مقبلاً ولى وقطب
يزورّ ان سمع الحديـ ث الى امير النحل ينسب
وتراه ان كرّر تُ فضائل الكرار يغضب[١٠٨]

والظاهر ان البرسي لم يقف في تطرفه عند حد مقبول وإنّما اندفع في غلوّه في علي الى حد حمل السيد محسن الامين على ان يستنتج انه كان « في طبعه شذوذ » [١٠٩] . هذا بالنسبة الى المتأخرين ، واما معاصروه فيبدو انه ازعجهم وحملهم على السعاية به الى الفقهاء من اهل بلده فبدأت المضايقات تحاصر البرسي [١١٠] ومن هنا نهض الى تسجيل آرائه في رسالة قصد بها ان يسكت خصومه ويثبت بها صحة رأيه ومنطقيته .

وهكذا كتب البرسي رسالته مشارق الأنوار التي قدم لها برسالة اخرى في التوحيد سماها «لوامع انوار التمجيد وجوامع اسرار التوحيد»[١١١] تطرق فيها الى التوحيد الاسلامي في اسلوب ومضمون كلامي صرف . ولكنه بعد ذكره التوحيد وتنزيه الله وقدمه وتجريده ثم ابداعه الخلق واتقانه ، تطرق الى الانسان الذي جعل الله « جسده مدينته والروح منه خليفته وقلبه كعبته وبيته الذي اطاف به ملائكته ...»[١١٢] . وتأدى البرسي من ذلك الى الانبياء والرسل الذين كانوا ادلة وحكاماً لاظهار امره تعالى ثم الى انه

---

(١٠٨) شعراء الحلة ٢/٣٧٢ .
(١٠٩) اعيان الشيعة ٣١/١٩٦ .
(١١٠) مشارق الانوار ص ١٥ .
(١١١) ايضا ص ٢ ـ ١٣ .
(١١٢) ايضا ص ٩ .

تعالى « نصب الاوصياء اعلاماً لكمال دينه وبيان فضله » [١١٣] . وهكذا لم يستطع البرسي ان يقاوم رغبته في العرض لعلي بن ابي طالب منذ البداية فوصفه ، باعتباره وصي النبي (ص) بأنه « سيد الوصيين وامام المتقين وديان الدين وصاحب اليمين وعلم المهتدين وخليفة رب العالمين وسر الله وحجّته وآية الله وكلمته في الأولين والآخرين ... » [١١٤] . ثم رتب البرسي على هذا كون أبناء علي من الأئمة على شاكلته وان « العشرة الزكية الهادية المهدية مقاماتك وعلاماتك وتجلياتك ، لا فرق بينها وبينك الا أنهم عبادك وخلقك ... » [١١٥]

كل هذا اعتبره البرسي من البديهات التي تقدم بين يدي البحث الحقيقي الذي هو بيان اسرار امير المؤمنين علي بن ابي طالب . وتلافيا لما قد تثيره آراؤه من تعاظم وانكار ، ذكر البرسي انه ، وان كان اشتهر عنه القول بالغلو ، ينسب أصل ذلك الى قصور الناس ، ومنهم الفقهاء ، عن فهم آرائه باعتبار أنه « لا يدرك غامض المعقول بالمنقول فكيف بما وراء العقول ، ولا يلزم الاحاطة بسائر العلوم ... » [١١٦] وأنّ « باب الفيض مفتوح وكل من الجواد الكريم ممنوح ، وليس وصول المواهب الربانية والعثور على الاسرار الالهية بأب وأم ... بل الله يختص برحمته من يشاء » [١١٧] واخذ البرسي على الفقهاء استجابتهم لتخرص الجهال وانهم لم يدركوا كنه كلامه « فنسبوه ، اذ لم يفهموه ، الى قول الغلاة وهو من أسرار الهداة » [١١٨] وهكذا يتعيّن علينا ان ندخل مع البرسي عالم الأسرار لنقف على وجه آرائه .

٤ . ب يرى البرسي ان « الله تعالى ، لما اراد اخراج الوجود من عالم العدم الى عالم الكون ... ، عبأ فيها أسرار الحروف التي هي معيار الأقدار ومصدار الآثار لان الله تعالى بالكلمة تجلى لخلقه وبها احتجب » [١١٩] ولما خلق الله آدم « أوجد فيه نسبة من الحروف التي وضعها في جبلته الفطرية ... » [١٢٠] ولما كان آدم هو المخترع الاول والمخاطب الاول ، بوصفه

(١١٣ و١١٤) مشارق الأنوار ص ١١ .
(١١٥) ايضا ص ١٢ .
(١١٦و١١٧) ايضا ص ١٥ .
(١١٨) ايضا ص ١٥ ـ ١٦ .
(١١٩و١٢٠) ايضا ص ٢٠ .

العقل النوراني الصادر عن الله ، « كان خطاب الحق له بما فيه من معاني الحروف ، ومجموع هذه الحروف في سر العقل كان الفاً واحداً لانه بالقوة الحقيقية مجموع الحروف » (١٢١) . وكانت الحروف كلها ، في رأي البرسي ، باختلاف اوضاعها ذات اتصال باحوال آدم « فالدال يوم خلقه والجيم يوم تسويته وخط الباء يوم نفخ الروح فيه وخط الألف يوم السجود ... فعلم ان العالم العلوي والسفلي بأجمعه داخلان تحت فلك الالف الذي هو عبارة عن الاختراع الاول والعرش العظيم والعقل النوراني ... واسماؤه المخزونة المكنونة مندرجة تحت سجل هذه الحروف ... » (١٢٢) هذا قَسْم آدم أول الخلق واول الانبياء ومستودع سر الالف بوصفه الالف القائم .

وقد انبسط الألف القائم بتحرّكه من العمودية الى الأفقية ليفيض منه فيض جديد هو الباء الذي يعكس الالف في صورته الظاهرية وتختفي اسراره في النقطة التي تحته بوصفها هي سر نقلة الالف من العمودية الى الانبساط ، ومن هنا قال البرسي : « واما الألف المبسوط ، وهو الباء ، فهي اول وحي نزل على رسول الله ... وسرها من انبساط الالف فيها ... والاسرار الحقيقية مرتبطة بنقطة الباء واليها الاشارة بقول امير المؤمنين (ع): أنا النقطة التي تحت الباء ، وسر الباء المبسوطة يشير الى الالف القائم المنبسط في ذاتها المحتجب فيها ، ولذلك قال محي الدين الطائي : الباء حجاب الربوبية ، ولو ارتفعت الباء لشهد الناس ربهم تعالى » (١٢٣) .

وهكذا تخرج الوصاية من النبوة ويصبح على سر النبي اي سر الله .

وبعد ان يستوفي البرسي البحث في سر كل حرف ، على هذه الصورة مع الاشارة الى اسماء الله الحسنى والاسم الأعظم (١٢٤) ، يعود الى البداية من جديد ليرى مع الحروفية : ان « سر الله مودع في كتبه وسر الكتب في القرآن لانه الجامع المانع وفيه تبيان كل شيء ، وسر القرآن في الحروف المقطعة في اوائل السور ، وعلم الحروف في لام ألف وهو الألف المعطوف المحتوى على سر الظاهر والباطن ، وعلم اللام ألف في الألف ، وعلم الألف في النقطة ، وعلم

(١٢١و١٢٢) مشارق الأنوار ص ٢١ .

(١٢٣) ايضا ص ٢٢ .

(١٢٤) ايضا ص ٢٢ ـ ٢٥ .

النقطة في المعرفة الاصلية ، وسر القرآن في الفاتحة ، وسر الفاتحة في مفتاحها وهي بسم الله ، وسر البسملة في الباء ، وسر الباء في النقطة » [١٢٥] . وبهذا نعود من كل البدايات الى النهاية وهي النقطة التي تعبر عن علي بن ابي طالب وصي النبي وسره .

٤ ـ ج ـ ويعود البرسي الى علي من جديد عن طريق تقسيم الوجود الى مطلق ، هو الله ، ومقيد هو ما عداه ويعتبر الوجود المطلق مما يستحيل الوصول اليه والاحاطة به « فلم يبق الا معرفة الوجود المقيد وحقيقته هي النقطة التي تبيناها واليها معرفة العارفين وسلوك السالكين ... ولها اعتبارات : فهي النقطة وهي الفيض الاول وهي العقل وهي النور الاول وهي علة الموجودات وحقيقة الكائنات ... دليل ذلك من القدسيات قوله : كنت كنزاً مخفياً فأحببت ان أعرف فخلقت الخلق لاعرف ... » [١٢٦] . ويؤكد البرسي هذه الفكرة بإشارته الى الفكرة الصوفية الفلسفية القائلة بأن « احداً لم يتكثر بخلقه » [١٢٧] المتضمنة في العبارة « وهو الآن على ماكان » [١٢٨] ، ويستشهد بقول الحلاج : « من لاحظ الازلية والابدية وغمض عينه عما بينهما فقد اثبت التوحيد ، ومن غمض عينه عن الازلية والابدية ولاحظ (ما) بينهما فقد أتى بالعبارة ، ومن اعرض عن البين والطرفين فقد تمسك بعروة الحقيقة » [١٢٩] . ويعود البرسي فيربط كل هذا من جديد بالنقطة بوصف العالم مكوناً من اعراض واجسام وان « الاجسام مركبة من الخط خطاً ثم سطحاً ثم جسماً ومدار الكل على النقطة ومرجعه اليها » [١٣٠] . وبعد استعراض للأعداد وانها تفيض من الواحد وانها لا وجود لها الا بالواحد ، يربط البرسي العدد بالنقطة من جديد ـ بوصفها نهاية الحروف التي منها الاسماء الالهية المتصلة بالاسم المقدس الجامع لها جميعاً ـ ويرتب على هذا دلالة النقطة على الذات وانها « هي الفيض الاول الصادر عن ذي الجلال المسمى في أفق العظمة والجمال بالعقل الفعال » [١٣١]

---

(١٢٥) مشارق الأنوار ص ٢٥ .
(١٢٦) ايضا ص ٣٠ .
(١٢٧و١٢٨) ايضا ص ٣٠ .
(١٢٩) اكضا ص ٣٠ ـ ٣١ .
(١٣٠) ايضا ص ٣١ .
(١٣١) ايضا ص ٣٢ .

وتجنبا لضياع هذا الخيط يقرر البرسي ان العقل الفعال « هو الحضرة المحمدية » [١٣٢] ، ويضيف الى هذه الشجون اللون الاشراقي بتقريره ان « النقطة هي نور الانوار وسر الاسرار كما قال اهل الفلسفة : النقطة هي الاصل والجسم حجابه ... » [١٣٣] ، ويستدير ليتجه الى علي من جديد فيورد الحديث القائل : كنت وعلى نوراً بين يدي الرحمن قبل ان يخلق عرشه بأربع عشرة سنة [١٣٤] ، ويشرح ذلك بقوله : « محمد وعلي حجاب الحضرة الالهية ونوابها وخزان اسرار الربوبية وبابها » [١٣٥] ، ويضيف اليه الحديث القائل : « انا وعلي ابوا هذه الامة » [١٣٦] ليدل هذا على انهما « ابوا سائر الامم ... فلولاهما لم يكن خلق ابداً لاختصاصه بلولاك لما خلقت الافلاك » [١٣٧] . ويلتفت البرسي الى علي ، كما فعل الحروفية ايضاً ، فيجعل من كنيته : ابي تراب موضوعاً فلسفياً كاملاً ، فروى عن علي انه اجاب رجلاً سأله من انت ؟ بأنه الطين ومن الطين والى الطين ، وانه لذلك ابو تراب أي انه « ذات الذوات والذات في الذوات للذات ... » [١٣٨] . وقد فسر البرسي ذلك بأن المراد بأبي تراب « الاب المربي والمرشد والروح قيم هذا الجسد ومربيه » [١٣٩] ، وكذلك « الماء والمراد به : انت ابو الاشياء ومبدؤها وحقيقتها ومعناها لان الكلمة الكبرى عنها برزت الموجودات وهي سر الكائنات » [١٤٠] ، وجعل علياً المقصود بالاية : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » [١٤١] ، وقال : « فالماء ابو الاشياء كلها وهو عليه السلام ابو تراب ، فهو سر الاشياء كلها » [١٤٢] . وينتهي البرسي اخيراً الى انه « صرح باظهار السر المكنون والكلمة المتعلقة بطرفي ، كن فيكون ، » [١٤٣] بمعنى انه « اسم الله الاعظم وحقيقة كل كائن وانه ذات كل موجود لذات واجب الوجود لأنه سره وكلمته وأمره ووليه على كل شيء وذلك أمر خصه الله به » [١٤٤] ولم يستطع البرسي ، في النهاية ، ان يقاوم الافضاء بأن علياً « هو هو بل انه كلمة الله وآيته وسره » [١٤٥] .

(١٣٢ ـ ١٣٥) مشارق الانوار ص ٣٢ .

(١٣٦و١٣٧) ايضا ص ٣٤ .

(١٣٨ ـ ١٤٠) ايضا ص ٣٥ .

(١٤١) الانبياء ٢١ : ٣٠ .

(١٤٢) مشارق الانوار ص ١٨١ .

(١٤٣ ـ ١٤٥) ايضا ص ٣٥ ـ ٣٦ .

٤ ــ د ــ ويخوض البرسي بعد هذا في اسرار الحروف ويستخرج منها ما يعنّ له من نتائج توافق الهدف الذي رمي اليه ، ولكنه يعرج من جديد على الامامة الشيعية داخل اطار صوفي ليرى ان « النقطة الواحدة هي حقيقة الموجودات ومبدأ الكائنات وقطب الدائرات وعالم الغيب والشهادة » (١٤٦) ، وانها لذلك « ظاهرها النبوة وباطنها الولاية وهما نور واحد في الظاهر والباطن ولكن الولاية من النبوة وعنها » (١٤٧) .

ومن هنا يجتمع الاسمان ويتحدان ، فأذا افترقا ظهر منهما محمد وعلي « فيجتمعان نبيّ وولي وتمامهما في تمام احدهما » (١٤٨) وذلك « لان القمر يستمد من الشمس ، فاذا كمل صار بدراً ، فاذا غابت الشمس كان الحكم للبدر » (١٤٩) . الى هنا والبرسي يستمد مادته من التصوف خاصة مع نزر قليل من الفلسفة ، فإذا بلغ به البحث هذا المبلغ انفتح امامه ميدان الغلوّ بأكمله ليصل بالنور من علي إلى أبنائه الائمة الاحد عشر ، وامده محمد بن سنان ــ الذي اعاد اليه آل طاووس اعتباره ــ بمعين لا ينضب من الاحاديث في هذا الشأن منها ، عن علي الهادي ، « ان الله لم يزل فرداً منفرداً في وحدانيته ثم خلق محمداً وعلياً وفاطمة ... واجرى عليهم طاعته وجعل فيهم منه ما شاء وفوض امر الاشياء اليهم منآ منه عليهم ، فهم يحللون ويحرمون ما شاؤوا ولا يفعلون الا ما شاء الله ... » (١٥٠) ، وذلك ارهاص بالتفويض يتأكد بقوله البرسي نفسه في موضع آخر :

فهم عترة قد فوض الله امره ... اليهم فلا ترتاب في غيرهم فمن
ائمة حق اوجب الله حبهم ... وطاعتهم فرض بها الخلق يمتحن (١٥١)

وروى البرسي عن محمد بن سنان ايضاً ان الرضا قال له : « يا ابن سنان

(١٤٦و١٤٧) مشارق الأنوار ص ٤٤ .
(١٤٨) ايضا ص ٤٧ .
(١٤٩) ايضا ص ٥٢ .
(١٥٠) ايضا ص ٤٧ .
(١٥١) ايضا ص ٥٧ .

ان محمداً كان امين الله في خلقه فلماقبض كنا نحن اهل بيته وخلفاءه ... »[١٥٢]، وروى عنه ايضاً أنه نقل عن الائمة قولهم : «نحن الليالي والايام،فمن لم يعرف هذه الايام لم يعرف الله حق معرفته فالسبت رسول الله (ص) النبوة ولا نبي بعده ، والاحد امير المؤمنين وهو اول من وحّد الله ، والاثنين نور الحسن والحسين ، والثلاثاء ثلاثة انوار : نور الزهراء وخديجة وأم سلمة ، والاربعاء اربعة انوار : الساجد (السجاد) والباقر والصادق والكاظم ، والخميس خمسة انوار : الرضا والجواد والهادي والعسكري والمهدي ، والجمعة اجتماع شيعتنا على ولايتنا ... » [١٥٣] . ويشترك البرسي في هذا المجال ايضاً مع الحروفية الذين نقلوا مثله من قبل انه « مما وجد بخط العسكري (ع) انه كتب : صعدنا ذرى الحقايق بأقدام النبوة والولاية ونحن اعلام الهدى وبحار الندى ومصابيح الدجى وليوث الوغى وطعان العدى وفينا نزل السيف والقلم في العاجل ولنا الحوض واللواء في الآجل واسباطنا خلفاء الدين وصفوة رب العالمين » [١٥٤] . وأبى البرسي الا انه يؤيد ولايته للائمة بمظهر حروفي عددي ، فمن ذلك انه جعل من الرقم (١٢) سلسلة تنتظم اعداد الاسباط والنقباء والنجوم التي بعدد البروج والشهور » [١٥٥] ، وزاد على هذا بأنه حاول ان يثبت ان « لكل امام منهم (١٢) حرفاً وهو سر من اسرار الولاية » [١٥٦] وجاء بقائمة من الاسماء الدينية عدد حروفها (١٢) ، منها : « لا اله الا الله ، محمد رسول الله ، النبي المصطفى ، الصادق الامين ، على باب الهدى ، امين الله حقاً ، امير المؤمنين ، فاطمة امة الله ، البتول الزهراء ، وارثة النبيين ، الامام الثاني ،

(١٥٢و١٥٣) مشارق الأنوار ص٥٢وانظر نقولا أخرى عن محمد بن سنان في هذا الكتاب ، منها في ما في الصفحات : ٢٥ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٢ ، ٩٠ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ١١٠ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ٢٢٢ وغيرها .

(١٥٤) ايضا ص ٥٦ ، ومما يقترب فيه البرسي من الحروفية ايضا قوله في ولاية علي : « واليه الاشارة بقوله : ولولا فضل الله عليكم ورحمته ، فالرحمة محمد صلى الله عليه وآله والفضل علي ، دليله قوله : قل بفضل وبرحمته فبذلك فليفرحوا ، يعني بدين محمد وولاية علي لأنه لاجلهما خلق الخلق وبهما افاض عليه الرزق ... » (مشارق الانوار ص ٧٧) .

(١٥٥) ايضا ص ٥٢ .

(١٥٤) ايضا ص ١٣١ .

الحسن المجتبى ، وارث المرسلين ، الامام الثالث ، الحسين بن علي ، خليفة النبيين ، ووالد الوصيين ،الامام الرابع ، الامام السجاد ، علي بن الحسين ، وارث المرسلين ، سيد العابدين ، الامام الخامس ، الامام الباقر ، هو محمد بن علي ، امام المؤمنين ، الامام السادس ، الامام الصادق ، هو جعفر بن محمد ، قدوة الصديقين ، الامام السابع ، الامام الكاظم ، هو موسى بن جعفر ، خليفة النبيين ، الامام الثامن ، الامام الرضا ، هو علي بن موسى ، امام المؤمنين ، الامام التاسع ، الامام الجواد ، هو محمد بن علي ، نجل المنتجبين ، الامام العاشر ، الامام الهادي ، هو محمد بن علي ، وارث الوصيين ، الحسن العسكري ، امام المسلمين ، الامام الخاتم ، القائم المهدي ، محمد بن الحسن ، خليفة النبيين ، وخاتم الوصيين ، هؤلاء العشرة ، الغر الميامين ، بنو عبدالمطلب ، سادة اهل الجنة ، محبهم مؤمن تقي ، في الجنة مخلد ، عدوهم كافر شقي ، في النار مؤبد ، اللهم صل عليهم ، بأفضل صلواتك ، يارب العالمين » (١٥٧) .

٤ ــ هـ ــ ولا ينسى البرسي ان يجمع للمهدي مثل الشيعة والفلاسفة والصوفية بوصفه له من عبارة طويلة « هذا الولي الذي بيمينه رزق الورى وببقائه بقيت الدنيا ... هذا نسخة الوجود والموجود هذا غوث المؤمنين ، وخاتم الوصيين وبقية النبيين ... هذا البقية من النور القديم والنبأ العظيم والصراط المستقيم ... هذا الخليفة الوارث لاسرار النبوة والامامة والخلافة والولاية والسلطنة (هـ : النقطة) والعصمة والحكمة ... » (١٥٨) وقوله : « الم تعلم ان الله سبحانه خلق تسعة عشر الف عالم والف الف عالم مبدؤها نور الحضرة المحمدية وسرها الولاية الالهية وختمها الخلافة المهدية والعصمة الفاطمية وذلك كله فاض عن الكلمة الالهية غيب ... » (١٥٩) .

٥ ــ أ ــ ويحسن بنا ونحن نستعرض العناصر الصوفية في فلسفة البرسي ، ان نذكر انه مع تطرقه الى الحلاج وابن عربي صراحة والسهروردي ضمناً ، عرض لابن الفارض (١٦٠) وسمي الائمة اهل الله تسمية الصوفية للاولياء (١٦١) وعارض

(١٥٧) مشارق الانوار ص ١٣٢ .
(١٥٨) ايضا ص ١٢٣ ــ ١٢٤ .
(١٥٩) ايضا ص ٨١ .
(١٦٠) ايضا ص ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٠ .
(١٦١) ايضا ص ٢٤٢ .

بردة البوصيري [١٦٢] وتطرق الى الصوفية وقسّمهم الى فرقتين [١٦٣] وكتب اسطراً في الحلاجية [١٦٤] وان كان اخطأ في الحقائق التي قدمها عن الحلاج نفسه [١٦٥] وضمن كتابه مصطلحات صوفية كالولاية التي اعتبرها « علم الغين وحق اليقين » [١٦٦] وكذكره لسان الحال ولسان المقال [١٦٧] وبحثه الولاية المحمدية والختم [١٦٨] وكقوله : « ايها الطائر في جو التقليد لا يأوى على غدران الحكماء ولا يرتع في رياض العلماء ولا ينبت في قلبه حب الحب ... الى متى انت بعيد عن النور محجوب عن السرور » وكقوله : « قلب المؤمن مكان مشيئة الرب ولسانه منبع حكمته ، يفعل ما يريد الله ويريد ما يفعل » [١٦٩] .

يضاف الى هذا ان البرسي تأثر بالروح الصوفية ، في شعره ايضا ، ومن هنا وجدنا فيه نغمة روحانية تذكرنا بصفاء المتصّوفة وتوجههم الى المثل الاعلى ، ومن النماذج على هذا قوله :

أمـا والـذي لدمـي حـلّـلا ... وخصّ أُهَيْلَ الولا بالبلاء
لئن ذقت فيه كؤوس الحما ... م لما قال قلبي لساقيه : لا
فموتي حياتي وفي حبه ... يلذ افتضاحي بين الملا
مضت سنة الله في خلقه ... بأن المحب هو المبتلى [١٧٠]

---

(١٦٢) مشارق الأنوار ص ٢٩٢ ، اعيان الشيعة ١٩٨/٣١ ـ ٩ ، الغدير ٤٧/٧ ، البابليات ١٢٠/١ شعراء الحلة ٢٨٨/٢ .

(١٦٣) مشارق الانوار ص ٢٤٩ .

(١٦٤) ايضا ص ٢٥٩ .

(١٦٥) ايضا ص ٢٦٠ .

(١٦٦) ايضا ص ١٧٣ .

(١٦٧) ايضا ص ٩٣ .

(١٦٨) ايضا ص ٨١ .

(١٦٩) أيضا ص ٨٠ ـ ٨١ .

(١٧٠) ايضا ص ١٧٣ .

وتلك ابيات تذكر بقطعة الحلاج : اقتلوني يا ثقاتي ... الخ وترسم صورة معانيها . وقد بلغ تأثّر البرسي بالتصوف حداً وجد نفسه معه لا يكتفى باستعارة المعاني الصوفية وانما تجاوز ذلك الى تحوير قطعة شعرية بأكملها من نظم عمر بن الفارض (ت ٦٣٢/١٢٣٥) ونسبها الى نفسه .

قال البرسي في مدح اهل البيت :

فرضي ونفلي وحديثي انتم ... وكل كلي منكم وعنكم
واتتم عند الصلاة قبلتي ... اذا وقفت نحوكم ايمم
خيالكم نصب لعيني ابدا ... وحبكم في خاطري مخيّم
يا سادتي ، و سادتي اعتابكم ... بجفن عيني لثراها ألثم
وقفاً على حديثكم ومدحكم ... جعلت عمري فاقبلوني وارحموا
منّوا على الحافظ عند فضلكم ... واستنفذوه في غدٍ وأنعموا(١٧١)

وتلك ابيات مأخوذة من قول ابن الفارض :

انتم فروضي ونفلي ... انتم حديثي وشغلي
ياقبلتي في صلاتي ... اذا وقفتُ اصلي
جمالكم نصب عيني ... اليه وجهت كلي
وسركم في ضميري ... والقلب طُور التجلي
انا الفقير المعنى ... رقوا لحالي وذلي (١٧٢)

وبين هذه الابيات من الشبه الواضح مايصعب معه ان يفترض لاستقلال ابيات البرسي توارد الخواطر او ما يتصل بهذا المعنى . وبذلك يقوى ترجيح صدور البرسي في آرائه الجديدة في التشيع عن الروح الصوفية المتصلة بنزعتها العقلية الفلسفية . وهذا مثل واحد يحتمل ان يتأيد بكثير غيره .

ومن شعر البرسي ، مما لم يرد في مشارق الانوار ، قوله :

لقد شاع عني حب ليلى وانني ... كلفت بها عشقاً وهمت بها وجداً
واصبحت أُدعى سيداً بين قومها ... كما أنّني اصبحت فيهم لها عبدا

(١٧١) مشارق الأنوار ص٢٧١ ، ٢٩٢ ، وانظر الغدير للأميني ٦٦/٧-٧٠.
(١٧٢) ديوان ابن الفارض ، مصر ١٣٧٠ ، ص ١٠٢ .

ولا ذنب لي في هجرهم لي وهجوهم سوى انني اصبحت في حبهـا فردا
ولو عرفـوا ما قد عرفت ويممـوا حماها كما يممت (قد) أعذروا جدا (١٧٣)

لقد ذاب البرسي فيما يمكن ان يسمى الحقيقة العلوية ، فصفت نفسه فناء فيها وصار شـعره روحاً تسرى في عليٍ وتعبّر عن الحب الجـارف الذي يكنه له ، ومن ذلك قوله :

من قبـل خلق الخلق انت رضيتني عبـداً وما انا عبـد سـوء آبـق
ونقلت من صلب الـى صلب علـى صـدق الولاء وانا المحب العاشـق
كـم يعـذلوني في هـواك تعنّفـاً انا عاشق انا عاشق انا عاشـق (١٧٤)

ولعل زملاءنا النقاد يوافقوننا على صدق هـذه العاطفة الجياشة وبساطة هذه السلاسة وجمال هذا التكرار المثلث في قوله : انا عاشـق .

وقبـل ان نفرغ من استعراض آراء البرسي نذكر انه ، في جنوحـه الى الغلو ، تأثر بآراء الغـلاة الاولين والصوفية المتأخـرين ، فأضاف الى الامامة الشيعية عناصر أخـرى خرجت بهـا من حد البشرية او الانسانية الكاملة على الصحيح الى شيء يكاد يلتحق بالالهيـة . وقد اخـذ البرسي على الشيعة من معاصريه قولهم : « يكفينا في باب الامامة ان نعرف ان الامام معصوم مفترض الطاعة » (١٧٥) ورأى ان ذلك لا يكفي واعتبر الامامة رئاسة عامـة يلزم عنهـا التقدم والعلم والقدرة والحكم . ويعلل البرسي ذلك بقوله : « اما التقدم فلأن الولى حجة الله والحجة يجب ان يكون قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق ، واما العلم فلأن الولى هو العالم بالمحيط بالعالم فلا يخفى عليـه مما غاب وحضر اذ لو خفى شيء لجهـل وهو عالم (وهو) خلف ... » (١٧٦) . واما القدرة فإن الولى المطلق قدرته كعلمه وعلمه محيط ، فقدرته كذلك لان قلب الولى مكان

---

(١٧٣) الغدير ٦٧/٧ ، شعراء الحلة ٢٨٤/٢ .
(١٧٤) مشارق الانوار ص ١٥٥ .
(١٧٥) أيضا ص ١٦٢ .
(١٧٦) ايضا ص ١٦٣ .

مشيئة الرب العلي ولسانه منبع حكمته يفعل مايريد الله ويريد مايفعل » (١٧٧) ، « واما الحكم المطلق فكمامر لانه الولاية لها الحكم من البداية الى النهاية لان الولاية علم اليقين وحق اليقين ، لا ينسخ ولا يتغير ولا يتبدل بتغيير الزمان ولا ينسخ كنسخ الشرائع والاديان ولا يختم لانها ختم الاكوان ولا تسبق لان لها السبق بالكون والمكان فعهدها مأخوذ من الأزل،ولم يزل يتسلمها ولي من ولي ورضيّ من رضى الى يوم القيامة ... » (١٧٨) وتلك افكار ظاهرة الاتصال بالتصوف المتأخر مع طابع شيعي ظاهر .

ولما بحث البرسي الغلو ، في اثناء استعراضه فرق الاسلام ، ذكر للسبئية ثلاثاً وعشرين فرقة وادرج المفوّضة مع الغلاة وعدّد من شعبها عشرين (١٨٠) ولكنه ختم القول عليها بتعقيبه قائلا : « اقول : عجبا لمقسم هذه الفرق . كيف جعل هؤلاء من الغلاة وقد ذكر اولاً انهم من الامامية ثم قال : الا ان عندهم الامام كالعين المبصرة واللسان الناطق ، فدل على ان هذا الرجل ليس بعارف بمرتبة الولى المطلق وهو عين الله الناظرة في عباده ولسانه الناطق في خلقه ... » (١٨١) .

اما بعد فلعلنا خبرنا دروب الافكار التي نادى بها البرسي متأثراً بالتصوف على الخصوص : الافكار التي ظن منذ البداية انها بعيدة عن الغلو واعتبر نفسه ممن يدخل في عداد المقصودين بقوله القائل :

جنبوهم قول الغلاة وقولوا ما استطعتم في فضلهم ان تقولوا (١٨٢)
فأذا عدّت السماء مع الار ض الى فضلهم فذاك قليل

وانه كان يطيع الائمة في نهيهم الشيعة عن الغلو ونصحهم لهم ان « احذروا المعصية لنا والمغالاة فينا فإنّ الغلاة شر خلق الله ، يصغرون عظمة الله ويدعون الربوبية لعباد الله ... » (١٨٣) .

٦ ـ أ ـ هذا غيض من فيض في تناول افكار البرسي التي يمكن ان يفرد

(١٧٧و١٧٨) مشارق الأنوار ص ١٧٣ .
(١٧٩) ايضا ص ٢٥٦ ـ ٧ .
(١٧٠) ايضا ص ٢٥٧ ـ ٨ .
(١٨١) ايضا ص ٢٥٨ .
(١٨٢) ايضا ص ٨٢ .
(١٨٣) ايضا ص ٨٣ .

لها كتاب ضخم غير انه ينبغي الا نضع القلم قبل ان نشير الى ان البرسي ، بإدخاله العنصر الصوفي في الغلو الشيعي ، كان مبدأ نشاط غال جديد وجد له تربة خصبة في البيئات التي يتجاور فيها التصوف والتشيع وبذلك تخف المؤونة على صاحب الفكرة الغالية لأن الصوفية يعذرونه ، على أسوأ الاحتمالات ، بوصفهم من اصحاب الطموح الى السمو الروحي . ولهذا كان للمشعشعين ، الذين سيظهرون قريبا ، من البرسي سند قوي اقاموا عليه حججهم وان لم يصرحوا بتبعيتهم له (١٨٤) وانما وصلوا حبلهم بشيعي آخر لا دخل له بالغلو هو احمد بن فهد الحلي الذي لابد من افراده بدراسة خاصة . على ان البرسي كان استاذاً حقيقياً لاحمد الأحسائي وكاظم الرشتي ومن ثم للبابيين والبهائيين لان استعانته بالعنصر الصوفي في بناء مدارس فكرية جديدة في التشيع كان الاسوة والقدوة للأولين على الظهور بالفكرة الكشفية التي ينم اسمها نفسه عن اصلها ولم يكن الشيعة ليجهلوا هذه الصلة بينهما (١٨٥) . ولم يخف العنصر الصوفي الذي امتزج بأفكار البرسي عن الشيعة كذلك وانما وجدناهم يشيرون إليه في وضوح لما وصفوا البرسي بالصوفي (١٨٦) « والشيخ المرشد الكامل والقطب الواقف الانسي والانس العارف القدسي » (١٨٧) وزاد الحاج معصوم على سابقيه بأن جعل البرسي « من اعاظم الصوفية وعرفاء السلسلة

(١٨٤) انظر مشارق الانوار ص ٧٨ ، ١٩٣ ، ٢٢٩ .

(١٨٥) انظر روضات الجنات ص ٢٨٥ ، البارقة الحديدية ورقة ٥٣ب ، قصص العلماء ص ٣٦ . وقد صرح السيد حيدر الحسني في عرضه لاحمد الاحسائي ومذهبه بأنه « انما الاصل في مذهبهم هو ما ذهب اليه البرسي من أن الولى مقامه فى الخلق مقام الرب الاعلى لا فرق بينه وبينهم ، وقد اشار هذا الشيخ الى هذا المعنى فى غير موضع من هذا الشرح [شرح الزيارة الجامعة لاحمد الاحسائى] وغيره عند تفسير : ومن عرفك لا فرق بينك وبينهم الا انهم عبادك ، . . . » (البارقة الحيدرية ، ورقة ١٨ ب) . يضاف الى هذا ان للأحسائي المذكور كتابا عنوانه « مشارق الأنوار » غلب عليه الطابع الصوفي الى حد صلاح مادته مرجعا لاصطلاحات الصوفية (انظر فرهنك مصطلحات عرفاء وصوفية ، للسيد جعفر سجادى ، طهران ١٣٣٩ ش/١٩٥٠ ثبت المراجع ، المرجع رقم ١٢٤ ، ولكنه لم يقتبس منه في المتن وانما اقتبس من « حاشية رسالة » شيخ احمد أحسائي ، ص ١٠٩ — ١١٠ ، فلعله هو المقصود من المشارق) .

(١٨٦) رياض العلماء ص ٢٣٠ ، قصص العلماء للتنكانى ص ٣٥ .

(١٨٧) روضات الجنات ص٢٨٤ .

العلية الرضوية » [188] ، وكان من الشيعة من حـدد اوجـه الشبه بين افكار البرسي وعبدالكريم الجيلي المعاصر له [189] (ت ٨٠٥/١٤٠٣) وان كان هذا الغرض يستدعي دراسة فيها انعام نظر . وبصرف النظر عن هذا كله ، كان من الطبيعي ان يلتفت الشيعة الى ما في آراء البرسي من غلو فأشاروا اليه واحـدا بعد الآخر [190] ، ويلاحظ في المتقدمين انهم لم يأبهوا لهـذا الغلو كالكفعمي الذي وصف مصباحـه ، الذي تضمن نصوصـا من البرسـي ، بأنه جمعـه « من كتب معتمد على صحتها مأمور بالتمسك بوثقي عروتها » [191] ، غير ان

---

(١٨٨) طرائق الحقائق ١١٤/٢ ، والاصل الفارسي يقول : « ووى از اعاظم صوفية وعرفاى سلسلة علية رضوية ميباشد » .

(١٨٩) اشار السيد حيدر الحسنى الى ان المعانى الغالية التى ساقها البرسى تشبه عبارة عبدالكريم الجيلي في قوله : (ثم اعلم أن العقل الاول والقلم الاعلى نور واحد وبنسبته الى العبد يسمى العقل الاول وبنسبته الى الحق يسمى القلم الاعلى ...) البارقة الحيدرية ورقة ٩ب ، وانظر الانساب الكامل فى معرفة الاواخر والاوائل ، مصر ١٢٩٣/١٨٧٦ ، ١٩/٢ .

(١٩٠) قال الحر العاملي فى البرسى : « وفي كتابه (المشارق) افراط وربما نسب الى الغلو ... » (امل الامل ، القسم الثانى ص ٤٤) ، وقال فيه محمد باقر المجلسى : « ولا اعتمد على ما يتفرد بنقله لاشتمال كتابيه (المشارق والالفين) على ما يوهم الخبط والخلط والارتفاع » (بحار الانوار ٦/١) ، وقال المامقاني « ومن راجع كتابه يتحقق غاية بعيدة من الغلو منه » (تنقيح المقال ص ٤٢٩ . وقد أوجع الخوانساري البرسي نقدا باعتباره رأسا في «تشييده دعائم المرتفعين وتجديده لمراسم المبتدعين وخروجه عن دائرة الشريعة المحكمة أصولها بالفروع وعروجه على قواعد الغالين والمفوضة الملتزم وصولها الى غير المشروع ... وفتحه بكلماته الخطابية التى تشبه مقالات المغيرية والخطابيـة ابواب المسامحة في امور التكاليف العظيمة على وجوه العوام الذين هم اضل من الانعام واعتقاده لعدم مؤاخذة احد من أحبة اهل البيت المعصومين بشيء من الجرائم والاثام وبنائه المذهب على التأويلات الهوائية الفاسدة من غير دليل مع ان أول مراتب الالحاد ، كما استفاضت عليه الكلمة ، فتح باب التاويل ...» غير أن الخوانساري رجا له « ان يكون هو الناجي المهدي الى سبيل المعرفة بحقوق اهل البيت » دون مقلديه لكونه « لم يكن من المقلدة ... » روضات الجنات ص ٢٨٤ وقال محسن الامين العاملى في البرسى : « فى طبعه شـذوذ وفى مؤلفاته خبط وخلط وشيء من المغالاة لا داعى له ، وفيه شيء من الضرر وان امكن ان يكون له محل صحيح...» ثم عدد أوجه الغلـو والضرر (أعيان الشيعة ١٩٦/٣١) .

(١٩١) مصباح الكفعمى ص ٤ .

الصراع بين التصوف والتشيع ابان الحكم الصفوي ادى في النهاية الى تغلب التشيع على التصوف بقيادة فقهاء جهدوا في القضاء على جذوره وكان من ألد خصومهم محمد باقر المجلسي والحر العاملي اللذان كتبا في الرد على التصوف كثيراً جداً مما عرضنا له في الفصل الاخير من كتابنا الموشك على الصدور. وهكذا كانت الخصومة للبرسي تعني خصومة للتصوف ايضا . ومما يقوى هذا الرأي ان اصحاب النزعة الصوفية من الشيعة ، ممثلين في الحاج معصوم علي ، كتبوا في الرد على المتأخرين من خصوم البرسي المتابعين للمجلسي والحر العاملي ، كالخوانساري ، محتجين بالاشعار التي قالها جلال الدين الرومي في علي مشيرين الى التشابه بين المعاني التي عبر عنها البرسي وهذه المعاني الصوفية البحتة (١٩٢) . وقد كانت حجة الحاج معصوم علي في نفي الغلو عن البرسي هي حجة الاخير نفسها ولكن عن طريق صوفي وذلك بأن اعتبر الشطح امراً لا يؤاخذ عليه من ناحية وان حدد معنى الغلو بالكذب والنفاق والقصد السيء فقط ! (١٩٣) .

٦ ــ ب ــ وقد وجد البرسي في العصر الحديث انصاراً من الشيعة يدفعون عنه تهمة الغلو كالسيد الأميني الذي ناقش محسن الامين مناقشة طويلة اقامها على اساس من ان البرسي شاعر اولاً وان « جميع ما يثبته المترجم لهم عليهم السلام من الشؤون هو دون مرتبة الغلو وغير درجة النبوة » (١٩٤) . ومما احتج به الأميني على صدق ما يذهب اليه اخبار سنية شاذة تغلو في أبي بكر (١٩٥) ، فكأنه يريد ان يبرر الغلو بالغلو والشذوذ بالشذوذ . ويجد الأميني ، بعد كل ما استعرضناه من معاني الغلو عند البرسي ، القدرة على القول : « على اننا سبرنا غير واحد من مؤلفات البرسي فلم نجد فيه شاهداً على مايقول » ! (١٩٦) .

---

(١٩٢) انظر طرائق الحقائق ٢/١١٤ ،

(١٩٣) طرائق الحقائق ٢/١١٢ ، ١١٣ .

(١٩٤) الغدير ٧/٣٣ .

(١٩٥و١٩٦) ايضا ٧/٣٦ .

ونجد ، في ختام هذا البحث مبرراً لموافقة الخوانساري على انه ، وان كان الغلو موجـوداً في كل وقت ، الا ان البرسي كان المحـرك له في فترة استطاع التشيع خلالها ن يخلع عن نفسه لباس التعصب ، ومن هنا وجدنا موجة جديدة من الغلو ترتفع وتحمل معها الفرق الغاليـة الجـديدة التي ختمت بالبابيـة والبهـائيـة .

لقد خلفت روح البرسي الشاعرة اثرها في العاطفيين من شـعراء الفقهاء فأدت الى ظهـور معاني الغلو في الشعر ، الذي يتقبـل بطبيعته روح المبالغـة والتطـرف ، ومن هنـا وجـدنا فقيهـاً كالسـيد اسماعيـل الشـيرازي (ت ١٣٠٤ او ١٣٠٥/١٨٨٧ او ١٨٨٨) الذي حال موته دون بلوغه زعامـة الشيعة الفقهية [١٩٧] يقول في علي :

آنست نفسـي من الكعبـة نور مثل ما آنس موسـى نار طور
يوم غشّى الملأ الأعلى سرور قـرع السـمع نداه كنـدا
شاطيء الوادي طوى من حرم

* * *

هـذه فاطمـة بنت اسـد اقبلت تحمـل لاهـوت الأبـد
فاسـجدوا ذلاً له في من سـجد فلـه الامـلاك خرّت سـجّدا
اذ تجلى نوره في آدم

كشف الستر عـن الحـق المبين وتجلـى وجـه رب العالمـين
وبـدا مصباح مشـكاة اليقين وبـدت مشرقة شمس الهـدى
فانجلى نور الظلام المظلم [١٩٨]

---

(١٩٧) شعراء الفريّ ١/٣١٩ .

(١٩٨) ايضا ١/٣٢١ ـ ٢٢ والفضل في اهتدائنا الى هذه الابيات يعود الى عمنا الكريم للشيخ رشيد الكليدار .

ثبت المراجـــع

١ ـ المخطـــــوطات

- البارقة الحيدرية في نقض ما ابرمته الكشفية لحيدر بن ابراهيم بن محمد ابن الحسن ، محرر في سنة ١٢٥٦/١٨٤٠ ، مكتبة جامعة كمبردج رقم Browne. Y. 12 (9)
- الذريعة الى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهـراني (محمد محسن) ، المولود سنة ١٢٩٣/١٨٧٦ جزء حرف الميم ، نسخة المؤلف .
- رياض العلماء وحياض الفضلاء لعبدالله افندي الجيراني ، من تلاميذ محمد باقر المجلسي ، ت١١١١/١٧٠٠ ، مكتبة صاحب الذريعة بالنجف .
- الفكر الشيعي والنزعات حتى مطلع القرن الثاني عشر الهجرى للدكتور كامل مصطفى الشيبي ، تحت الطبع .
- محفل الأوصياء ومجمع الأولياء للاردستاني (علي اكبر حسين) ، النسخة مكتوبة سـنة ١٠٤٣/١٦٣٣ ـ ٤ ، مكتبة دائـرة الهنـد رقم Ethe 645 (بالفارسية) .

٢ ـ المطبـــــوعات

- أعيان الشيعة للسيد محسن الامين العاملي ، الجزء ٣١ ، النجف ١٩٤٩ .
- أمل الآمل في ذكر علماء جبل عامل وغيرهم من المتأخرين لمحمد بن الحسن الحر العاملي (ت ١١٠٤/١٧٠٥) القسم الثانى ، ايران ١٣٠٢/١٨٨٤ .
- الانسان الكامل في معرفة الاواخر والاوائل لعبدالكريم الجيلي (ت ٨٠٥/ ١٤٠٣) ، مصر ١٢٩٣/١٨٧٦ .
- الانوار النعمانية في بيان النشأة الانسانية لنعمة الله الحسيني ، ت ١١١٢/ ١٧٠١ ، طهران ١٢٨٠/١٦٨٦ ـ ٧ .
- البابليات لمحمد علي اليعقوبى ، النجف ١٩٥١ .
- الباعث الحثيث بشرح اختصار علوم الحديث لابن كثير (اسماعيل بن عمر القرشي) ت ٧٧٤/١٣٧٣ ، مطبعة محمد علي صبيح بمصر ، بـلا تاريخ .
- بحار الانوار للمجلسي (محمد باقر بن محمد تقى) ، ت ١١١١/١٧٠٠ ، ايران ١٣٠٢/١٨٨٤ .

- تاج العروس للزبيدي (محمد مرتضى الواسطى) ، ت ١٢٠٥/١٧٩٠ - ١ ، مصر ١٣٠٧/١٨٨٩ .
- تاريخ الادب في ايران لبراون (بالانكليزية) الجزء الرابع ، لندن ١٩٢٤ .
- التعرف لمذهب اهل التصوف للكلاباذى (ابى بكر محمد بن اسحق البخارى) ، ت ٣٨٠/٩٩٠ تصحيح واهتمام آرثر جون آربرى ، مصر ١٣٥٢/١٩٣٣ .
- تنقيح المقال للمامقاني (الحسن بن عبدالله النجفي) ، ت ١٣٢٢/ ١٩٠٥ - ٦ ، ايران ١٣٤٩/١٩٣٠ - ١ .
- جنة الامان الواقية وجنة الابرار الوافية المعروف بالمصباح للكفعمي (تقى الدين ابراهيم بن علي بن الحسن) ، (٨٤٠ - ٩٠٥/١٤٣٦ - ١٥٠٠) ايران ١٣٢١/١٩٠٣ - ٤ .
- ديوان ابن الفارض (عمر) ، ت ٦٣٢/١٢٣٥ ، مصر ١٣٧٠/١٩٥١ .
- الذريعة الى تصانيف الشيعة لآقا بزرك الطهراني (محمد محسن) ، الاجزاء الثاني والثامن والحادى عشر ، طبع النجف وطهران ١٣٥٦/١٩٣٧ ، ١٣٦٩/١٩٥٠ ، ١٣٧٨/١٩٥٩ .
- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري ١٢٢٦ - ١٣١٣/١٨١١ - ١٨٩٦، طهران ١٣٠٧/١٨٨٩ .
- الروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية لزين‌الدين بن علي بن احمد الجبعى العاملي المعروف بالشهيد الثاني ، ق ٩٦٦/١٥٥٨ - ٩ ، تحقيق الشيخ عبدالله السبيتي ، بيروت ١٣٧٨ - ٩/١٩٥٩ - ٦٠ .
- ريحانة الادب لمحمد علي التبريزي ، طهران ١٣٦٦/١٩٤٧ .
- زند كاني شاه نعمة الله ولي كرماني (سيرة نعمة الله الولي) تحقيق جين اوبان ، طهران ١٩٥٦ (بالفارسية) .
- سفينة النجاة : فهرست بحار الانوار لعباس محمد رضا القمي ، النجف ١٣٥٢/١٩٤٧ .
- شعراء الحلة لعلي الخاقاني ، الجزء الثاني ، النجف ١٩٥٢ .
- الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل مصطفى الشيبي ، بغداد ١٩٦٣ - ٤ .
- طرائق الحقائق للحاج معصوم علي النعمة اللهي الشيرازي ، ت ١٣٤٤/ ١٩٢٦ ، ايران ١٣١٩/١٩٠١ - ٢ .

- عجائب المقدور في آخبار تيمور لابن عربشـاه (شـهاب الدين احمد بن محمد) ، ٧٩١ ـ ١٣٨٩/٨٥٤ ـ ١٤٥٢ ، مصر ١٨٦٨/١٢٨٥ .
- الغدير في الكتاب والسنة والادب للأميني (عبدالحسين احمد) ، طهـران ١٩٥٢/١٣٧٢ .
- فرهنك مصطلحات عرفاء وصوفية (معجم مصطلحات العارفين والصوفية) للسيد جعفر سجادى ، طهران ١٣٣٩ هـ ش/١٩٥٠ (بالفارسية) .
- فوائد الرضوية في علماء المذهب الجعفرية لمحمد علي القمي ، ايران ١٣٢٧/ ١٩٠٩ (بالفارسية) .
- قصص العلماء للتنكابني (محمد بن سليمان بن محمد رفيع) ، كان حيا سنة ١٨٧٩/١٢٩٦ ، ايران ١٩٠٢/١٣٢٠ (بالفارسية) .
- كلمات مكنونة من علوم اهل الحكمة لمحسن الفيض الكاشاني ، ت ١٠٩٠/ ١٦٧٩ ، تصحيح وتعليق الشيخ عزيز الله العطاردى القوجانى ، طهران ١٩٦٣/١٣٨٣ (بالفارسية) .
- الكني والالقاب للشيخ عباس القمي ، النجف ١٩٥٦/١٣٧٦ .
- مجالس المؤمنين للسيد نورالله التسترى ، ق ١٠١٩/١٦١٠ ـ ١١ ، طهران ١٨٨١/١٢٩٩ ـ ٢ بالفارسية .
- مجمع البحرين لفخرالدين الطريحى (طريح بن محمد الرماحى) ، ت ١٠٨٥/ ١٦٧٦ ، طهران ١٨٥٥/١٢٧٢ ـ ٦ .
- مشارق انوار اليقين في اسرار امير المؤمنين للبرسي (رجب بن محمد بن رجب) ، ت بعد ١٤١١/٨١٣ ، بيروت ١٩٥٩/١٣٧٩ ـ ٦٠ .
- معجم البلدان لياقوت الحموي (ابى عبـدالله بن عبدالله الرومي) ، ت ١٢٢٩/٦٢٦ ، مصر ١٨٨٨/١٣٠٦ ـ ٩ .
- نفحات الانس للجامي (عبدالرحمن) ، ت ١٥٠١/٨٩٨ ، طهـران ١٣٣٦ هـ ش/١٩٥٧ (بالفارسية) .
- هدية الاحباب لعباس محمد رضا القمي ، النجف ١٩٣٠/١٣٤٩ ـ ١ .
- هدية العارفين لاسماعيل باشا بن محمد امين بن سليم الباباني البغدادى ، ت ١٩٢٠/١٣٣٩ ، الجزء الاول ، اسطنبول ١٩٥١ .